الجمهـورية الجزائـرية الديمقـراطية الشعبية
وزارة التعلـــيم العالي والبحث العلمي
جامعة– سعيدة – د. الطـــاهر مولاي
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ليسانس (ل.م.د)، التخصص : لسانيات عامة (ل.م.د)

قراءة في كتاب "النقد الثقافي "

– قراءة في الأنساق الثقافية العربية –

لــ د.عبد الله الغـذامي

من إعداد الطالبين:
✍ قدوري سهام
✍ نصرالله علي

تحت :
إشراف أ.د عباس محمد

السنة الجامعية : 1440هـ/1441هـ*** 2019م/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

إذ ننهي عملنا المتواضع هذا فإن الفضل لأصله عائد والشكر لأهله قائم.

الشكر والحمد لله الذي وفقنا في إتمام هذا العمل المتواضع،فما فيه من محاسن فمن توفيقه،ومافيه من نقائص فمن عندي أنا.

والشكر موصول لأستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور "عباس محمد" الذي لم يبخل علينا بصبره وإرشاداته وتوجيهاته .

كما أتوجه بوافر شكري لجميع أساتذتي،وإلى كل من كانت له يد من قريب أو من بعيد في وصول بحثنا إلى هذه المحطة.

إهـــــــــــــــــداء

" اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بماعلمتنا ، وزدنا علما"

أحمد الله سبحانه وتعالى وأثني عليه كلّ الثناء، عددخلقه ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته ،لك الشكر على ما منحتني إياه من قوة وصبر وتوفيق لإتمام هذهالمذكرة

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أعز ماأملك في الدنيا:والدي العزيزين " وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً "،وإلى من حبهم يجري في عروقي و يلهج بذكرهم فؤادي:إخوتي وأخواتي حفظهم الله،وإلى كل العائلة والأصدقاء

قدوري سهام

مقدمة

شـهد القـرن العشـرين نهضـة علميـة ملحوظـة في فضـاءنا العـربي ،وقـد طالـت هـذه النهضـة المجـالات الأدبيـة ، والنقديـة ، واللغوية،فضـلا عـن المجـالات الاجتماعيـة والسياسـية والفكريـة وقـد ظهـرت مـن خلالهـا اتجاهـات متعـددة ومختلفـة المشـارب، تنـتهج في تحليـل النصـوص مبـادئ خاصـة تـدل الاتجـاه،ومن أبـرز هـذه الاتجاهـات ،اتجـاه النقـد الثقـافي الحـديث ،وهـو خطـاب ظهـر ابتـداء عنـد الغربيين ، وتبناه لاحقا بعض المثقفين العرب،ومن أبرزهم محمد عبد الله الغذامي .

و الواقـع أن هـذه الممارسـة النقديـة النوعيـة ظهـرت ضـمن رؤى مابعـد الحداثـة،وفي رؤيـة هـذه الممارسـة أن هـذا النـوع مـن النقـد هـو فـرع مـن فـروع النقـد النصوصـي العـام ،يعـنى بالنقـد الأنسـاق المضـمرة الـتي ينطـوي عليهـا الخطـاب الثقـافي بكـل تجلياتـه وأنماطـه وصـيغه،وفي الحـق أن هـذا الخطـاب النقـدي جديـد نسـبيا في ثقافتنـا العربيـة ،ولعـل أبـرز مـن أسـهم في بلورتـه ،الناقـد السـعودي محمـد عبـد الله الغـذامي مـن خـلال مؤلفـه المشـروع :"**النقـد الثقـافي** – قـراءة في الأنسـاق الثقافيـة العربيـة ،الصـادر في العـام 2000 وعـدت هـذه الدراسـة أول دراسـة عربيـة تتبـنى صـراحة نظريـة النقـد الثقـافي ،معلنـة بـذلك- في زعمهـا – مـوت النقـد الأدبي ، تقـويض معالمـه ،علـى اعتبـار أن النقـد الثقـافي يتميـز عـن النقـد الأدبي بكونـه يحقق أربعة نقلات إجرائية ،تنفصل فيها في موضعها من المذكرة .

وعليه يمكننا طرح الإشكال التالي،ونصوغه في مجموعة الأسئلة:

مـا النقـد الثقافي؟ومـا مبادئـه ومرتكـزا تـه ؟ ومـا طبيعتـه عنـد عبـد الله الغـذامي بوصـفه ممـراس نوعيـة في فضائنا العربي ؟

وللإلمام بهذه الإشكالية ارتأينا تقسيم بحثنا إلى مدخل وفصلين،فضلا عن المقدمة والخاتمة والملحق .

- في المـدخل الموسـوم ب :عـن النقـد الثقـافي عموما،تناولنـا فيـه عـن ماهيـة هـذا النقـد وكيـف استخدمه د .عبدالله الغذامي.
- الفصـل الأول وعنونـاه ب:عـن كتـاب "النقـد الثقـافي – قـراءة في الأنسـاق الثقافيـة العربيـة" عنـد د.الغـذامي وقسـمناه إلى ثلاثـة مباحـث : مبحـث أول : نشـأة النقـد الثقافي،ومبحـث ثـان

ل: تلخـيص محتويـات الكتـاب ،أمـا مبحـث ثالـث تطرقنـا فيـه إلى المصـطلح النقـدي للكتاب .

- الفصـل الثـاني: وعنونـاه ب:الرؤيـة النقديـة في الكتاب،وقسـمناه هـو الآخـر إلى مبحثـين :أول ماهيـة وطبيعـة النقـد الثقـافي عنـد عبـد الله الغـذامي ،أمـا ثـان تناولنـا فيـه حـدود النقـد الثقـافي وحـدود النقـد الأدبي في مفهـوم عبـد الله الغـذامي،وكيف أن هـذا الأخـير يجعـل مـن النقـد الثقـافي بـديلا للنقـد الأدبي

ثم اختتمنـا بخاتمـة أجملنـا فيهـا مجموعـة النتـائج الـتي توصـلنا إليهـا،وملحق رصـدنا فيـه أهـم المحطـات الحياتية والنقدية ل عبد الله الغذامي .

وطبيعي أن وقفت وراء اختيارنا لهذا البحث أسباب عديدة نذكر أهمها :

- رغبتنـا في الإطـلاع علـى هـذا الفـرع مـن النقد،والـذي يعـد بحـق فـرع جديـدا في فضـاءنا النقـدي العربي.
- حبنا للإطلاع على مستجدات هذا النقد في فضاءه الغربي،والعربي المتأثر به .

وكـأي بحث،اعترضـت بحثنـا مجموعـة مـن المصـاعب أبرزهـا:ضـيق الوقـت وصـعوبة الظـرف المعـروف الـذي نجتازه،تعـذر التواصـل مـع الأسـتاذ المشـرف إلا عـن طريـق الوسـائط التكنولوجيـا،ثم جديـة الموضـوع ثقافتنـا العربيـة وصـعوبة الإلمـام بتضاريسـه حـتى عنـد المنخصصـين ولي تجـاوز هـذا ارتأينـا تبـني المـنهج الوصـفي التحليلـي لاعتقادنـا أن هـذا المـنهج هـو الأصـلح للإمسـاك بتفاصـيل هـذا الموضوع.

وفي الأخـير نكـرر شـكرنا لأسـتاذنا المشـرف الأسـتاذ "محمـد عبـاس" ونقـر أن بحثنـا ليخلـوا مـن النقائص ،وعسى ملاحظات أساتذتنا المنافسين أن تدفعنا لاستدراك ذلك.

مدخل:
عن النقد الثقافي عموما

يعد النقد الثقافي من أهم الظواهر الأدبية التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب و النقد، وقد جاء كرد فعل على البنيوية اللسانية، و السيميائيات، والنظرية الجمالية، التي تعنى بالأدب باعتباره ظاهرة لسانية شكلية من جهة، أو ظاهرة فنية وجمالية كم جهة أخرى. ومن ثم فقد استهدف النقد الثقافي تقويض البلاغة و النقد معا، بغية بناء بديل منهجي جديد يتمثل في المنهج الثقافي الذي يهتم باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة ودراستها في سياقها الثقافي و الاجتماعي السياسي و التاريخي و المؤسساتي فهما وتفسيرا. وبعد ظهور النقد الثقافي في الساحة العربية، أثار جدلا كبيرا بين المثقفين و النقاد العرب بما يدعو لقطيعه النقد الأدبي، و الدعوى إلى نقد ثقافي أكثر تحررا واتساعا عن النص إلى دراسة الأنساق بشكل عام، مما أدى إلى تيار محافظ ينبذ هذا الفكر و الانسياق وراءه بما يحمله من ثقافة غربية متحررة تدعو إلى إحلال ثقافتها مكان الثقافة العربية الإسلامية، مما جعل المثقف العربي لا يقبل بديلا للفكر الإسلامي ويرفض بعبية لمنجز الآخر، لأنه يحمل أفكارا مجهولة بالنسبة لمتعاطيه، وبالتالي ستكون له آثار مجهولة، والخوض في المجهول يحتاج إلى جرأة ،و كثيرا ما ترمى الجرأة بصفات غير محمودة مثل: التحرر، الانحلال، الفساد ،الإفساد، وخيانة القيم الأصيلة... ، ومن هنا كان الجديد مخيفا للمجتمع المحافظ على قيمته التي يعتقد بصحتها وقدسيتها، وبالتالي فلن يغامر مغامرة تبعده عن أصوله و تراثه. ونظرا لما صاحب النقد الثقافي من غموض لدى دعاته ورواده حول مفهومه، والاضطراب في دلالاته وإجراءاته مما أثار في ذهن المتلقي العربي عدة تساؤلات حول هذا المصطلح منها ما مفهومه النقد الثقافي، ومن أهم رواده في العالمين الغربي و العربي[1]، و أهم الانتقادات الموجهة إليه ويأتي البحث للإجابة عن تلك الأسئلة

لقد سعى العديد من الهمتمين بالنقد في الأدب العربي إلى إبداع ''قول'' فيما استجده الغذامي في الساحة النقدية العربية، وبين ناقدا لهذا المشروع النقدي ''الجديد''، وبين مدافع عنه ومنبهر به، نتوقف أساسا على مدح الدكتور السعودي مصطفى الضبع لمشروع الغذامي، وذلك في عرضه أمام مؤتمر أدباء مصر9، والذي اعتبره ''مشروعا وطرحا جديدا على مجتمعنا العربي'' ، لأنه يمثل ''استيعاب الناقد لكل ما طرح على الساحة العالمية في الموضوع''، ولأنه هام جدا يسعى إلى ''مراجعة الكثير مما كرسه النقد الأدبي عبر عصور التراث العربي السابقة''، وقد وصل به الأمر إلى حد اعتبار هذا المشروع لا يحتاج إلى تبسيط لأن ما يميز ''الطرح الثقافي بساطته وبعده عن التعقيد'' مكتفيا بالاستشهاد بمقتطفات من كتاب الغذامي ''النقد الثقافي''، ويحدد مميزات هذا المشروع في كونه:

التكامل: حيث يتكامل مع الأنواع النقدية الأخرى، وينبذ الهيمنة الانفرادية.

[1] د/محمد عبد المطلب ،النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003، سلسة الشباب، العدد رقم 5 ص 96

التوسع: حيث ينظر من زاوية النشاط الإنساني المتكامل منفتحا على أشكال متعددة من هذا النشاط.

الشمول: حيث يشمل كل مناحي الحياة.

الاكتشاف: يسعى إلى اكتشاف جماليات جديدة.

الحرية: فالنقد الثقافي يشترط حرية أوسع وساحة أكبر للحرية سواء في موضوعه أو في طرائقه.

وبغض النظر عن مساهمات أخرى تذهب في نفس الاتجاه، أي إلى تأكيد وتعداد مزايا مشروع النقد الثقافي لدى الغذامي، فإننا نسوق هنا بعض الملاحظات التي تبدو لنا جديرة بالتسجيل، لأن الوقوف على كل القراءات التي تمت طوال تسع سنوات منذ ولادة المشروع ليس هينا[1].

اعتقد أن الغذامي يريد أن يعرض نظرية جديدة دقيقة ومنهجية يسميها النقد الثقافي والتي يؤسس أغلب عناصرها ردا على النقد الأدبي: يؤسس جل عناصر نظريته من خلال عناصر معروفة في النقد الأدبي: المجاز، التورية... معتبرا أن النقد الثقافي أعم من النقد الأدبي، لذلك فالمؤلف مؤلفان معهود ومضمر (هو الثقافة)، لكن السؤال الجدير بالاهتمام هنا هو: لماذا ينبغي تجاوز النقد الأدبي إلى النقد الثقافي؟

إن النقد الثقافي لا يمكن أن يكون بديلا للنقد الأدبي، وهو ما يحيل عليه الغذامي نفسه ولو بشكل عرضي لأن النقد الذي يوجهه للنقد الأدبي ليس نقدا فارغا بل هو محمول بنوع من الازدراء (حيث صب المهتمين بالنقد الادبي جام غضبهم على الغذامي)، حيث نقرأ ''إننا نقول بمفهوم المجاز الكلي متصاحبا مع الوظيفة النسقية للغة، والإثنان معا مفهومان أساسيان في مشروعنا في النقد الثقافي كبديل نظري وإجرائي عن النقد الأدبي''11، وهنا نلاحظ الرغبة الخفية في مشروع الغذامي والمتمثلة في العمل على استبدال النقد الأدبي بالنقد الثقافي، لما لا وهو يتصوره بديلا. ويقول في مقدمة الكتاب: ''وبما أن النقد الأدبي غير مؤهل لكشف الخلل الثقافي فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي، وإحلال النقد الثقافي مكانه، وكان ذلك في تونس في ندوة عن الشعر عقدت في 22 ستنبر 1997، وكررت ذلك في مقالة في جريدة الحياة(أكتوبر 1998)''12.

ولا يسع القارئ لكتاب الغذامي إلا أن يلاحظ التناقض الصارخ الذي لا يستطيع الغذامي تجاوزه بين اعتبار النقد الثقافي بديلا وبين القول بالتداخل بين النقدين، حيث نقرأ في مقدمة الكتاب: ''وليس القصد هو إلغاء المنجز النقدي الأدبي، وإنما الهدف هو تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتبريره (وتسويقه) بغض النظر عن عيوبه

[1] د/عبد الله محمد الغذامي، **النقد الثقافي (قراءة في الأنساق** الثقافية العربية)، **المركز الثقافي العربي، بالدار** البيضاء وبيروت،ط/2، 2001. ص 447

النسقية"13، ولعل هذا يعود إلى أن ملهم الغذامي، الأمريكي ليتش فنسنت، لا يستطيع بدوره أن يلغي النقد الأدبي وأن يحل محله النقد الثقافي، لأنهما يشكلان بالنسبة له نقدان مختلفان، على الرغم من نقط الالتقاء والرتابط بينهما، وهو لا يدعو إلى الفصل بين النقدين فمتخصصي النقد الأدب يمكنهم ممارسة النقد الثقافي دون أن يتخلوا عن اهتماماتهم الأدبية، واتخذ هذا النظر في مشروع الغذامي[1] شكلا مبهما غير واضح لأن النقد الثقافي في نظره يستدعي تغييرا في بنية المصطلح والمفهوم حيث يقول: " إن إعمال المصطلح النقدي الأدبي إعمالا لا يتسمى بالأدبي، ويتخذ له صفة أخرى هي الثقافي، يستلزم إجراء تحويرات وتعديلات في المصطلح لكي يؤدي المهمة الجديدة"14. وإذا كان النقد الثقافي يستدعي تغييرا في المصطلح، فكيف يمكن للنقد الأدبي أن يظل حاضرا في عمل الناقد وهو مجرد من بنيته المفاهيمية؟

كيف يتصور الغذامي الثقافة في مشروعه؟ أو ما طبيعة البنية الثقافية التي يتحدث عنها في مشروعه باعتبارها هي المؤلف وهي المتحكمة في كل انتاج أدبي؟

إننا لا نجد . كما أشرنا سلفا . أي تحديد لطبيعة الثقافي في مشروع الغذامي، بل اكتفى بالإشارة إلى أن المعنى المقصود هو المعنى الانثروبولوجي، وبهذا نتساءل: هل تشكل الثقافة بنية مستقلة بذاتها خارج أي شروط أخرى؟ هل يفعل الثقافي في المبدع خارج البني الأخرى التي تحكم تصوره؟

إن الثقافي لا يشكل إلا بنية من البنيات الأساسية التي تعتمل في مجتمع من المجتمعات وهي بنية لا تتشكل بمعزل عن البنى الأخرى، بل تتفاعل معها وتعد مكونا من مكوناتها. هكذا تغدو الثقافة بنية محكومة بشروط عدة، وقابلة للتطور وللتغير. وفي نفس الوقت لا يمكن تصور البناء الثقافي باعتباره بناء متحجرا وجامدا يفعل فعله خارج الزمان والمكان.

إن الإقرار بتحول وتغير البناء الثقافي المكون للهوية الفردية والجماعية معا، والتي تظهر في أي عمل إبداعي أدبيا كان أو غير أدبي، يجعل نظرية الغذامي في النقد الثقافي محط سؤال، ففي معرض حديثه عن دلالة مفهوم "النسق الثقافي"، وعن وظائفه[2]

يعتبر أن الأنساق الثقافية "تاريخية، أزلية، راسخة لها الغلبة دائما"، أي أنها ثابتة تظل كما هي، وهذا ما ينفي عنها أي تغير أو حركة، لأن التغير والحركة في النسق الثقافي يهدم كل مشروع يقول بامكانية الكشف عن الانساق في النصوص وفي نقد المؤسسة، بكل بساطة لأن النسق بدوره سيغدو متحركا ومتغيرا، ومن الصعوبة الامساك به.

[1] نفس المرجع السابق ص 448

[2] نفس المرجع السابق ص 449

إن النسق الثقافي لا يمكن أن يظل معزولا وغارقا في ركن ما من العالم، شأنه شأن الخطاب الثقافي، بل هو ينشأ نتيجة عوامل تاريخية متراكمة ويتحول في نفس الوقت، وهكذا إذا كان الثقافي مشروطا بالتاريخ، فإنه غير بعيد أيضا عن السياسة، ذلك أن البناء الثقافي ككل يظل مشروطا بعوامل سياسية، حيث يمكن لعوامل سياسية معينة أن تفرض نمطا معينا من الثقافة، والعكس صحيح، يمكنها أن تلغي نمطا معينا، إلا أن هذا التداخل بين السياسي والثقافي لا يلغي الحضور المستمر للربط ولمجموع الممارسات الثقافية التي تميز مجتمعا عن الآخر

إن الحديث عن جوهر ثابت للأنساق الثقافية يضرب بعرض الحائط الجوهر الحقيقي للأنساق الثقافية. فالنسق الثقافي في اعتقادنا هو نسق بشري، منتوج بشري مشروط بوضع الإنسان عبر الزمان والمكان. وهذا هو سر اختلاف الأنساق الثقافية. أي أن النسق الثقافي بنية مشروطة تاريخيا بتغيرات وطبائع الاس وأحوالهم. وعليه لا يصح عد النسق الثقافي نسقا قارا يقع وراء التاريخ، بل هو في صلب التاريخ مما يطرح ضرورة النظر إلى الأنساق باعتبارها أنساقا متغيرة ومتفاعلة فيما بينها، فهل يمكن القول على أن الأنساق الثقافية التي تحكم الأدب العربي هي أنساق منغلقة وبعيدة عن أي تفاعل مع غيرها؟[1]

بمنظور الغذامي إذا كنا نسعى إلى حداثة عقلانية ومنفتحة فإن نسقا ثقافيا منغلقا على نفسه ومتحجر لا يقبل التغير ولا يصلح أن يكون معيارا لعقلانية منفتحة.

باستدعاء منظور ميشيل فوكو فإن النيق هو مجموعة من العلاقات، تستمر وتتحول في استقلال عن الأشياء التي ترتبط فيما بينها، وهذا ما يضعنا أمام دور النسق الثقافي في تشكيل الهويات وتحديدها.

إذا اعتبرنا النسق خارجا عن الذوات التي يفعل فيها، فهذا لا يعني أنه ثابت وأزلي، كما لا يعني أن النسق هو خطاب فوقي معزول عن أي تأثير فعلي، وهذا ما نتلمسه من قول الغذامي نفسه: ''الدلالة النسقية ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصرا ثقافيا أخذ بالتشكل التدريجي إلى أن أصبح عنصرا فاعلا. ''

وكملاحظة أخيرة نوجز الكلام في مسألة الجمالية والقبحية: إن سر اهتمام الثقافة الغربية بالجمل القبيحة، ودعوتهم إلى ضرورة تأسيس نظرية القبحيات في الأدب يكمن في اعتقادنا في الثورة على العقل والانفتاح على ما بعد الحداثة، وهو انفتاح يقابله بالأساس تغييرات حقيقية على جميع المستويات. وهذا ما يختلف كليا وجذريا مع واقع حالنا. فالثقافة الهامشية في الغرب فرضت نفسها على النقد وليس النقد هو من له الفضل في اكتشافها. والتعبيرات خارج المؤسسة، فرضت نفسها بغض النظر عن قيود المؤسسة والاقصاء الذي تمارسه في حق الثقافة المهمشة.

[1] نفس المرجع السابق ص 450

وعلى هذا الأساس نقول ما الفائدة التي تضيفها لنا هذه الجملة: ''المتنبي مبدع عظيم أم شحاذ عظيم''، فوصفه في النقد الأدبي أنه مبدع عظيم لا يتعارض مع وصفه في النقد الثقافي بأنه شحاذ عظيم، لأن حال المتنبي هو حال رجل ترك لنا نصا، وبغض النظر عن وضعه هل هو مبدع أم شحاذ، فإن ما يهم هو النص وما يمتلكه من قيمة جمالية كانت أو غيره. إن هذه العبارة في نظرنا تختزل جزءا من مشروع الغذامي.

الفصل الأول:
عن كتاب" النقد الثقافي"
لدى عبدالله الغذامي

المبحث الأول : نشأة النقد الثقافي

النقد الثقافي ينظر إليه بوصفه مظلة واسعة تضم تحتها مختلف الاتجاهات النقدية الغربية كالتاريخية الجديدة new historicism والمادة الثقافية cultural materialism، وما بعد الكولونيالية post_coloniality، والنقد النسوي Feminist critism و"يتبنى منظور النقد الثقافي على اختلافهم ، مشروعا نقديا يؤكد أهمية العودة إلى النص والإفادة من كل ما تنتجه السوسيولوجيا والتاريخ ، والسياسة و المؤسساتية ، والنقد الثقافي بذلك يحاول أن يتجاوز التصنيف المؤسساتي للنص بوصفه وثيقة جمالية إلى الانفتاح على الخطاب بوصفه ظاهرة ثقافية أوسع"[1].

ومن خلال هذا هناك سؤال يطرح نفسه بمجرد الحديث عن نشاط النقد الثقافي : هل النقد الثقافي منهج نقدي له أدوات إجرائية واضحة؟ للإجابة عن هذا السؤال يمكن أن نتطرق إلى تعريف "إيزابرجر" للنقد الثقافي" هو نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته ، وإن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة ، وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال ، و أيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي بمقدوره أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات ونظرية التحليل النفسي و النظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والأنتربولوجية إلى آخره، و دراسة الاتصال و بحث وسائل الإعلام والوسائل الأخرى المتنوعة[2].

ويعد النقد الثقافي حسب هذا المفهوم نشاطا معرفيا منفتحا على جملة من التخصصات المجاورة للأدب أبرزها التحليل النفسي والنقد الماركسي وعلم العلامات وعلمي الاجتماع والأنتربولوجيا ، وذلك من خلال ما أدرج لنا الباحث "عدلي الهواري" تعريف الناقد " محسن جاسم المسوي" بأنه عبارة عن فاعلية تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفية لبلوغ ما تألف المناهج الأدبية المحض المساس به أو الخوض فيه .

انطلاقا من هاذين التعريفين فالنقد الثقافي لا يعتمد على منهج واضح المعالم ولا يتميز بخطوات منهجية واضحة وصارمة، وإنما هو يستغل جملة من المقولات والأدوات الاجرائية التي تنتمي إلى معارف وعلوم مجاورة كالأنتربولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم العلامات والنقد النسوي وغيرها من مجالات العلوم الإنسانية .

---

[1]– بسام قطوس ، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، 2006م، ص108.

[2]_ سعد البازعي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2008م، ص37 ، نقلا عن آخر .

" و نجد أن النقد الثقافي ظهر في الغرب ، في صورة رد فعل ضدّ فوضى التفكيك و عدميتها ، باتجاهاتها المختلفة : الماركسية الجديدة ، والمادية الثقافية ، والتاريخية الجديدة " [1].

ومن أهم النقاد العرب نجد "إدوارد سعيد" من أبرز كتاب النقد الثقافي في تحديده للمنطقة الوسط

بين البنية الفوقية للنص، وبنيته التحتية من ناحية ، والنص بوصفه صومعة راهب _لابد أنه مؤلف النص حيث يكون البعد المهم هو البعد الداخلي للنص فقط "لابد من وجود منطقة وسط يمكن عندها التعامل مع اللغة الأدبية بلاغيا ، دون عزلها عن القضايا الأكثر إلحاحا للحياة اليومية كما يقول ميللر " [2].

و أيا كان الأمر ، فإن مصطلح "النقد الثقافي" ينتمي في الأساس إلى "فينيست ليتش" حيث يطرحه مرادفا لمصطلح "ما بعد الحداثة "، "و ما بعد البنيوية" ، حيث نشأ الاهتمام بالخطاب ، وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب ولكنه أيضا تغيير في منهج التحليل[3].

ويقترح ليتش تطوير ما سماه فوكو (الأنظمة الحقيقية) إلى الأنظمة الفعلية و غير الفعلية بديلا عن مصطلح الإيديولوجيا المحمل بدلالات سياسية بهدف فتح إمكانات أوسع للنقد الثقافي ما بعد البنيوي .

وإذا كان العديد من النقاد الغربيين من ذهب إلى توحيد مصطلح النقد الثقافي مع مصطلحات أخرى مثل نقد ما بعد البنيوية ونقد ما بعد الحداثة ، فإن الساحة العربية لم تمتلك زمام النقد الثقافي بعد ، لا لأسباب تتعلق بإمكانية النقد العربي على المتابعة والمواصلة بل المسألة تتعلق بإجراءات و حيثيات النقد الثقافي وشموليته ، وتأثرت بطروحات عن النقد الثقافي لم تستطع الخروج عن التوصيف والعرض وبيان الآراء ثم تحديد الرهانات والمزالق وصيغ الاختلاف والتطابق مرة كما في نموذج عبدالله إبراهيم أو محاولة التبني والتأثر المبالغ فيه ودعوة الاندماج ومسايرة ركب الحضارة والدخول في مشاريع عولمة الخطاب وتمرير قيم الانبهار كما في نموذج عبدالله الغذامي .

[1] _ عبدالعزيز حمودة، الخروج من التيه، في سلطة النص ، سلسلة عالم المعرفة 298، الكويت، 2003م ، ص361.

[2] _ المصدر نفسه : ص362.

[3] _ عبدالله الغذامي:النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1، 2001م،ص31.

"إن نشوء النقد الثقافي عند الغرب كان مرتبطا ببعض البوادر التي مهدت وهيأت لنشوئه وظهوره في الساحة النقدية منها الدراسات الثقافية التي نشأت في الغرب بعد الحرب العالمية الأولى والتي كانت ترتبط بعلوم مثل: علوم الاجتماع والتاريخ والفلسفة والأنثروبولوجيا ، وقضايا الاجتماعي والثقافي للشعوب فضلا عن الدين والنظريات السياسية و الاجتماعية"[1].

ولقد نشأ النقد الثقافي بتأثير من ذلك نشاطا نقديا يوظف كل المفاهيم التي جاءت بها المدارس النقدية السابقة له كالسياسة والفلسفة والاجتماعية والنفسية والتاريخية والنصية وغير ذلك ، وتوجه نحو توسيع دائرة اشتغاله من النصوص الأدبية الراقية وسياسية وتاريخية ونفسية و تفكيكية و نسوية وغير ذلك . "ومصطلح النقد الثقافي بتعابيرنا النحوية هو مركب إسنادي وصفي ، شطره الأول في دلالته أصبح من البديهيات ، وشطره الآخر لاحقة مائزة له عن غيره ، نعنيه من دون غيره من أنواع النقد السابقة له ، فلاحقة الثقافي التي سمي بها هذا النقد ، كما هو واضح مشتقة من كلمة الثقافة ونسبه إليها ، لذا مفهوم هذا النوع من النقد في وهلته الأولى و من المصطلح يرتبط كثيرا بالحمولات الدلالية لكلمة ثقافة ، والنقد الثقافي بمنظوره هو وليد الدراسات الثقافية التي ظهرت إرهاصاتها المبكرة بعد الحرب العالمية الأولى ونمت وتكاملت في عصر النهضة الأوروبية ، و الدراسات الثقافية هذه التي أثمرت كما يرى – آرثر آيزابرجر – أنها أنشأت في السبعينات حتى شرع مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام عام 1971 م ، في صحيفة أوراق عمل في الدراسات الثقافية ، ونجد بعض الباحثين يذهب إلى أن الدراسات الثقافية ارتبطت بمدرسة فرانكفورت في أمريكا و ارتبطت من ناحية أخرى بجامعة برمنجهام "[2].

ولعل من أكبر النقاد العرب أيضا ومن الذين تبنوا المنهج الثقافي ، بل ذهبوا إلى حد تطبيقه على الثقافة العربية نجد الناقد محمد عبد الله الغذامي ، و هو أستاذ النقد و النظرية في جامعة الملك آل سعود بالرياض ، حاصل على درجة دكتوراه من جامعة إكسترا البريطانية ، وقد كانت أول كتبه في مشروعه النقدي ، عبارة عن دراسة لخصائص شعر حمزة شحاتة الألسنية تحت اسم الخطيئة والتكفير : من البنيوية إلى التشريحية و

[1]_ محمد سالم سعد الله : النقد الثقافي "أزمة منهج أم محنة عمل ؟" منتديات ستار تايمز ، 19:15 ، www.startimes.com /2013/09/2012

[2]_ عبدالله حبيب التميمي ، سيرورة النقد الثقافي عند الغرب ، مجلة جامعة بابل ، العلوم الإنسانية ، المجلد 22 ،العدد1، 2014م ، ص162.161.

يعتبر كتاب النقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية ،كتابا مثيرا حيث تولى بجرأة وشجاعة طرح فكرة النقد الثقافي طرحا جديا مشبوبا .

كما أصَّل لهذه الفكرة نظريا ومعرفيا وممارسة ، إن كتاب النقد الثقافي دراسة في نظرية النقد الثقافي ، وجعل منها مدخلا لفهم العيوب النسقية في الشعر العربي _بصفته ديواننا_ والخطاب الأبرز للأمة العربية، عبر تتبع منافذ هذه العيوب في كتب التاريخ، ومدونات الشعر ، حتى ينتهي للشعر المعاصر وقضية الحداثة التي يحاكم فيها أبرز الشعراء المعاصرين كنزار قباني وأدونيس، "ويعتبر هذا الكتاب أول كتاب عربي يحمل من خلال عنوانه إشارة صريحة إلى تبني النقد الثقافي منهجا في الدراسة والتحليل"[1]

إن إحدى أهم المشاكل التي تواجه النقد الثقافي هي أن المصطلحات المستخدمة في النقد والتحليل والتفسير أصبحت إلى قدر كبير من الصعوبة و التقنية العالية إلى درجة أن في كثير من الحالات تكون مبهمة ، " فعندما يتواصل نقاد الثقافة بعضهم ببعض فهم يتحدثون باللغة الغير مفهومة والتي قد تدعى بالرطانة"[2].

" كما أن نقاد النقد الثقافي ، لا ينقدون بلا وجهة نظر ، فقد تكون لهم علاقات بجماعات أو اتجاهات مثل الاتجاه النسوي ، أما الماركسي ، أو الفرويدي ، أو اليونجي jungian ، ولذا فإن النقد الثقافي يتأسس دائما على منظور ما يرى الناقد من خلاله الأشياء و يعتقد بتفسير أفضل للقضايا "[3].

يعود ظهور النقد الثقافي على حسب تقدير بعض الباحثين إلى القرن العشرين و قد تطور الأمر بأحد الباحثين الأمريكيين المعاصرين و هو فنيست ليتش إلى الدعوة إلى نقد ثقافي ما بعد بنيوي ، وعلى الرغم من شيوع هذه الممارسة ، فإن مصطلح " النقد الثقافي" ظل بعيدا عن ذلك القدر والمستوى من التقعيد والتنظير الذي أثر في تبلور اتجاهات أخرى .

" فالنقد الثقافي الذي دعا إليه ليتش يستوعب متغيرات ما بعد البنيوية يرفضها للعقلانية التنويرية ، وعدم اكتراثها بالتوجهات السياسية "[4] ، أي التي تؤمن بأن كل شيء له أسس مطلقة.

---

[1]_ المصدر السابق ، ص163.

[2]_ ينظر: ميجان الرويلي ، سعد البازغي ، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الثالثة، 2002م ،ص140.

[3]_ ينظر : المصدر نفسه، ص142.

[4]_ ينظر : المصدر السابق ، ص 142.

غير أنّ المصطلح الثقافي لم يتبلور منهجيا إلا مع الناقد الأمريكي " فنسنت ليتش" والذي أصدر سنة 1992م كتابا قيما بعنوان " النقد الثقافي" نظرية الأدب لما بعد الحداثة"،ومن ثم "فليتش" هو من أطلق مصطلح النقد الثقافي على نظرية الحداثة ، واهتم بدراسة الخطاب في ضوء التاريخ و السوسيولوجيا...الخ، و "تستند منهجية ليتش إلى التعامل مع النصوص والخطابات ليس من الوجهة الجمالية ذات البعد المؤسساتي "[1].

ونجد من أهمّ منظري النقد الثقافي عند الغرب من النمسا : فرويد، هوت هرترج، ومن ألمانيا : كارل ماكس ، ماركس فيبر ، و من أمريكا : شارمان ، رومان ، جاكبسون ، ومن النقاد العرب الناقد السعودي عبدالله الغذامي ، صلاح قنصوة في كتابه " تمارين في النقد الثقافي "، محسن جاسم المسوي ، مالك بن نبي في كتابه "مشكلة الثقافة" ، محمد عابد الجابري و له دراسات تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية 1985م.

وعلى الرغم من كل المفاهيم والمسلمات التي تلقيناها من النقد الثقافي على أنها أحكام صحيحة ويقينية بشكل من الأشكال ، ظهرت مجموعة من الانتقادات وجهت إلى النقد الثقافي بصفة خاصة والدراسات بصفة عامة وهي : "شيخوخة البلاغة العربية بعلومها الثلاث ، وهذا الحكم صحيح إذا كنا ندرس البلاغة انطلاقا من التصور التقليدي للبلاغة "[2].

وبما أن الغذامي يرى أن النقد الأدبي قد مات وأن النقد الثقافي هو الذي سيموت في يوم ما ، إذا لم يطور أدواته المنهجية ، حيث يساير كل الحداثة المتجددة والممكنة بجدية وانفتاح وتواضع ، ومن الواضح أنّ النقد الثقافي يهتم بشكل كلي لمقاربة الأنساق الثقافية في ضوء مقاربة سياسية إيديولوجية ، ومن ثم يتحول النقد الثقافي أحكام سياسية مبتذلة ، تطلق بشكل معمم ، دون الاستناد إلى معايير جمالية وفنية مقبولة.

ويسقط الناقد عبدالله الغذامي في تشكل تعميم الأحكام ، حيث يرى أن القصيدة الشعرية القديمة تتحكم في الفحولة الناتجة عن سيادة طغيان الاستبداد السياسي و الاجتماعي ، ونستطيع القول أن من "

[1]_ ينظر : بسام قطوس ، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر ، ص228.

[2]_ ينظر : عبدالله الغذامي والممارسة النقدية الثقافية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، 2003م، ص30.

أسباب النفور النقدي الثقافي ترجع لأسباب و حقائق مختلفة تمثل العقلية العربية وطريقة التعامل مع الآخر "[1]

المبحث الثاني :تلخيص محتويات كتاب "النقد الثقافي"

بطاقة تقنية للكتاب :

1_ اسم المؤلف الكامل : عبدالله بن محمد بن عبدالله الغذامي من مواليد 1946.

2_ عنوان الكتاب : النقد الثقافي " قراءة في الأنساق الثقافية العربية "

3_ عدد الصفحات : 312 ص.

4_ حجم الكتاب : صغير و سمك متوسط (القياس 14.5×21.5)

5_ دار ومكان النشر والطبعة :المركز الثقافي العربي (بيروت– لبنان) (الدار البيضاء– المغرب)–الطبعة الرابعة سنة 2008م.

6_ وصف خارجي للكتاب : الأمامية للواجهة الكتاب هناك اسم المؤلف إضافة إلى عنوان الكتاب وتحته مباشرة هناك لوحة الغلاف منحوتة لبياكوميتي (أنف) وتحتها دار النشر ،أما في الخلفية هناك مجموعة من الأسئلة للدكتور "عبدالله الغذامي" حول موضوع مُؤَلَفِهِ "النقد الثقافي": هل الحداثة العربية حداثة رجعية ...؟ وهذا سؤال تندرج تحته مجموعة من الأسئلة.

8_ محتوى الكتاب : هذا كتاب يحمل عنوانا مهما ومثير للتأمل والتفكير ، فهو كما يقول صاحبه ليس القصد منه :"هو إلغاء المنجز النقدي الأدبي وإنما الهدف هو تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص ، وتبريره بغض النظر عن عيوبه النسقية إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه وهذا يقتضي إجراء تحويل في المنظومة المصطلحية ".

فالنقد الثقافي في هذا الإطار ، لا يرفض الأنواع الأخرى من النقد ، وإنما يرفض هيمنتها منفردة ، إذ يعني ذلك قصورا في الكشف عن الكثير من العلامات الدالة في سياق النصوص

فينقسم الكتاب عبر 312 إلى سبعة فصول رئيسية بعد مقدمة د.عبدالله الغذامي وهذه الفصول هي :

في الفصل الأول : النقد الثقافي / ذاكرة المصطلح : التأريخ لمصطلح النقد الثقافي في الفكر الغربي وأدبياته ، وكيف بدأت الدراسات الثقافية ، صم تطورت إلى نقد الثقافات الاستهلاكية ، والمسيطرة على

[1]_ ينظر : المصدر نفسه ، ص 30.

الجماهير بفعل تطور أدوات الاتصال ، والإعلام وقدرتها على الهيمنة على البشر، و إعادة صياغة وعيهم في العالم.

استعراض آراء المفكرين الذين أسهموا في بناء نظرية النقد الثقافي مثل مدرسة فرانكفورت ودورها في نقد الثقافة السائدة من خلال تحليل الظواهر الثقافية مثل التلفزيون وأثرهُ.

تبيان أن النصوص سواء كانت شعرية أو أدبية طابع محدود في التأثير على المجتمع بالقياس للوسائل الأخرى في العصر الراهن .

تبيان تطور النقد الثقافي من نقد ثقافي إلى نقد مؤسساتي التي تساهم في إنتاج الثقافة .

الكشف عن التعددية في النقد الثقافي التي تنشأ داخل المجتمع الواحد نتيجة لتعدد الأنساق الثقافية التي تحملها النصوص المتداخلة في نص الحياة اليومية ، مثل : ثقافة التلفزيون مقابل الكتاب مقروء ، وهناك ثقافات أخرى تتعدد بتعدد وسائل الاتصال داخل المجتمع الواحد.

إبراز تطور الناقد الأدبي ليصبح الناقد المدني الذي يرى في النصوص الأدبية وغير الأدبية تعبيرا عن التيارات المختلفة في الواقع اليومي ، من خلال الربط بين النصوص والأنساق الثقافية العربية ، وهنا يتحول الناقد إلى مفكر سياسي مهموم بقضايا وطنه ، ولديه آمال تجاوز المجتمع لعثراته .

أما في الفصل الثاني : النقد الثقافي / النظرية والمنهج :

حاول أن يؤسس للمفهوم أولا ، معتبرا أن التعريف المؤسساتي للنقد الثقافي غير مجد ، وهو تعريف يركز على أن الأدب هو الخطاب الذي قررته المؤسسة الثقافية حسب ما توارثته من مواصفات بلاغية ، وبمالية قديمة ، وحديثة ، وهذا التصنيف في نظره يميز بين الأدب ما هو رديء ، وما هو جيد وما هو راق ، وما دون الراقي ، لذلك يعتبر أن عمله إعمالا لا يتسمى بالأدبي وتخذله صفة أخرى هي الثقافة متسائلا : كيف يمكننا إحداث تحويل نقلة نوعية للفعل النقدي من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي ...؟ ففي هذا الإطار يبرز أن هذه النقلة تحتاج إلى عدد من العمليات الإجرائية هي :

1_ نقلة في المصطلح النقدي ذاته .

2_ نقلة في المفهوم .

3_ نقلة في الوظيفة .

4_ نقلة في التطبيق.

تتمثل هذه النقلة على مستوى المصطلح النقدي في ذاته في ستة أساسيات ، تتركز أساسا على العمليات النقدية والمفاهيم السائدة في النقد الأدبي في تجاوزها ، وتطوير بعضها وهذه الأساسيات هي :

*عناصر الرسالة (الوظيفة النسقية).

*المجاز الكلي .

*التورية الثقافية .

*نوع الدلالة .

*الجملة النوعية .

*المؤلف المزدوج .

وفي ختام هذا الفصل ، عمل على تحديد مفهوم النقد الثقافي بعد أن وضع نظرة موجزة عن سيرة هذا المفهوم ، ويتمثل السؤال المحوري في مشروع الغذامي هل هناك في الأمر شيء آخر غير الأدبية؟

الفصل الثالث :النسق الناسق / اختراع الفعل :

هنا يقوم بتحليل نظرية النقد الثقافي بالتوسل بالتطبيق الإجرائي .

الفصل الرابع : تزييف الخطاب / صناعة الطاغية :

تبيان كيف يؤدي تزييف الخطاب ، وتغير إلى ظهور نسق خطابي له جانبان مضمر وصريح جمالي .

الفصل الخامس : اختراع الصمت /نسقية المعارضة :

في هذا الفصل يتحدث د. عبدالله الغذامي عن جماليات الصمت التي تظهر في نصوص بوصفها تعبير عن الخطاب المستوحى عنه في وجود سلطة ما (نسقية المعرضة) .

الفصل السادس : النسق المخاتل / الخروج على المتن :

يتحدث عن الجاحظ كنموذج للحديث عن الجانب المضمر الصريح في النسق الثقافي .

الفصل السابع : صراع الأنساق (عودة الفعل / رجعية الحداثة)

تبيان صراع الأنساق في الخطاب العربي المعاصر ، من خلال تقديم علامات ثقافية أبرزها : السياب، نازك الملائكة ، أدونيس ، نزار قباني من خلال تمريرها خطابات ضمنية تمجد الذات والطاغية وتتعارض مع الحداثة ، ثم تنتج خطابات لا عقلانية .

ختاما ، بقي أن نشير بعد هذا العرض الموجز أن هذا الكتاب يعد إضافة حقيقية إلى المشهد النقد العربي ، وإلى أهميته بالنسبة للمهتمين بالمنجز الروائي قراءا ونقادا...ومبدعين أيضا.

تلخيص:

يشكل مجال النقد في الدراسات الأدبية ، مجالا واسعا إلى أن أصبح الضرورة التي لا غنى عنها لتنمية وتغذية " النص الأدبي " بمختلف تلاوينه ، واعتبر النقد الأدبي إلى عهد قريب أداة منهجية لقراءة وإعادة قراءة النصوص الأدبية . إلا أنه ونظرا لتنامي نظريات نقدية جديدة ، كان لزاما على دارس الأدبية بين الحين والآخر مراجعة الطرق والمناهج المتبعة لفتح المجال لمناهج جديدة ولإعادة بناء النص و تأطيره بمنظورات أخرى مغايرة . سنقف أساسا على مفهوم " النقد الثقافي" في حقل الدراسات الثقافية العربية كأداة جديدة ساهمت في اغناء الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة ، مع الإطلالة على الوصول هذا "النمط الجديد" وعلى ينبوعه الأول ، ذلك أنه في عقد التسعينيات من القرن الماضي عرفت الدراسات الثقافية ازدهار ملحوظ وتركيزنا على الدراسات الثقافية العربية ، أملته الحاجة إلى النظر في هذا المنهج الجديد الذي مني بالاهتمام متزايد ، من أجل الكشف عن الجدة فيه ، وعن مكامن الخلل التي يمكن أن يصيبه. كما أملته الحاجة إلى الاطلاع على في حقل الدراسات الثقافية ذلك أن الاهتمام بالتراث الثقافي كيفما كان

روليس الأدبي تحديدا ، على الرغم من ازدهار وظهوره الأول بمجال الدراسات الأدبية.

تعتبر محاولة عبدالله الغذامي لإرساء أسس منهج الجديد ومشروع نقي جديد من أهم المحاولات التي حظيت باهتمام النقاد العرب اليوم ، إلا أنها محاولة لا تنفك هي بدورها من التأثير "الغربي" ، ذلك أن النقد الثقافي ظهر وأرسى أسسه الأولى في أوروبا إبان القرن الثامن عشر ، ولقي في العقد التاسع من القرن الماضي اقبالا في أمريكا نتيجة عودة الباحص الأمريكي "فنسنت ليتش" V.Leitch إلى ضرورة نقد الثقافي ما بعد بنيوي ، يسعى إلى الخروج عن القواعد المؤسساتية التي تقبل النقد عادة والاهتمام بالإنتاج الأدبي غير الرسمي أو غير المعترف به رسميا ، أي أدب المهمشين. ويعتبر ليتش أهم مصادر الغذامي ، كما سنرى وعلى هذا الأساس نتسائل

: ما النقد الثقافي ؟ كيف تشكل ؟ ما هي مبررات ضرورة نقد جديد للدراسات الثقافية ؟ كيف يتم النقد الثقافي ؟ ما هي مجالات و مستويات النقد الثقافي ؟ ما الجديد في النقد الثقافي ؟

في النقد الثقافي : تحديد المفهوم : يسعى الغذامي في الفصل الأول من كتابه " النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية "[1] إلى تحديد مسيرة ظهور هذا

للمصطلح ذاكرة معتبرا أن الدراسات الثقافية ازدهرت بالأساس في عقود التسعينيات من القرن العشرين مع أنها بدأت منذ 1964 كبداية رسمية منذ أن تأسست مجموعة بيرمنجهام : Birmingham Center for Contemporary Cultural Studies وتهتم الدراسات الثقافية بالنصوص الأدبية لاكتشاف أنماط معينة من الأنظمة السردية و الاشكالات الإيديولوجية وأنساق التمثيل ، فالنص لا يشكل أساس الدراسات الثقافية بل هو مجرد أداة ووسيلة لأن أهمية النقد تأتي من حقيقة أن ثقافة تُعين على تشكيل و تنميط التاريخ ، وتوسعت هذه الدراسات لتشكيل أنواع ادبية أخرى جديدة : العرق والجنس Gender والدلالة والاقناع وقد تأثرت الدراسات الثقافية بنظرية غرامشي بتوظيفها لمفهوم.الهيمنة فالثقافة تعبير عن العلاقات الاجتماعية وفي نفس الوقت أداة للهيمنة ، وتعتبر أغلب الدراسات أن مصادرها النظرية تتمثل في :

*التاريخ والفلسفة.

*السوسيولوجية.

*الأدب النقد .

إلا أن الدراسات الثقافية تعرضت للنقد نتيجة ضعفها النظري وفقرها المنهجي مما ساهم في ظهور النقد الثقافي ، بعد أن تعرض مفهوم الثقافة للنقد من طرف كلنر Kellner الذي أسس رؤيته النقدية المسماة :

[1] _ الغذامي:النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1،2000.

*مدرسة بيرمنجهام.

*مدرسة فرانكفورت.

تنبني نظريته حول ما طرحه مؤسسو فرانكفورت حيث أن الوسائل تتحدث في المتلقي وتصنعه وفق أهداف وقوالب جاهزة ، حيث تجري عمليات تسليح الثقافة مع دمج الناس في مستوى واحد. وتعميم هذا النموذج مما يحقق تبريرا إيديولوجيا لمصلحة الهيمنة الرأسمالية ، و إقحام الجمالية في شبكة المجتمع والثقافة العمومية ، لقد اتخذ كلنر ، الثقافة كمجال للدراسة .

إن النقد الموجه للثقافة وللدراسات الثقافية ، ساهم بشكل أو بآخر في بلورة مفهوم النقد الثقافي على يد ليتش فنسنت V.Leitch الذي يرى أن النقد الثقافي يقوم على ثلاث خصائص :

لا يتعلق بالتصنيف المؤسساتي للنص الجمالي بل يذهب إلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة (خطاب أو ظاهرة) .

يستفيد من مناهج التحليل العرفية : تأويل النصوص ، دراسة الخلفية التاريخية ، التحليل المؤسساتي .

يركز على أنظمة الخطاب والإفصاح النصوصي كما هو عند بارث، دريدا ، فوكو ، خاصة مقولة دريدا : لاشيء خارج النص .....

النصوص اما نقد المؤسسة نظرا لاعتباره أن القراءة مفيدة ...المؤسسة الأكاديمية التي ترسم اطارا جاهدا للقراءة لغويتها و منبطها.

2_ النقد الثقافي : النظرية والمنهج : عمل الغذامي في الفصل الثاني من كتابه على تحديد مفهوم النقد الثقافي ، بعد أن وضع نظرة موجزة عن مسيرة هذا المفهوم ويتمثل السؤال المحوري في المشروع الغذامي في : هل هناك في الأدب شيء آخر غير الأدبية ؟

يحاول أن يؤسس للمفهوم أولا معتبرا أن التعريف المؤسساتي للنقد الثقافي الأدبي غير مجد ، وهو تعريف يركز على أن : الأدبي هو الخطاب الذي قررته المؤسسة الثقافية حسب ما توارثته من مواصفات بلاغية وجمالية قديمة وحديثة وهذا التصنيف في نظره يميز في الأدب ما هو رديء وما هو جيد ، ما هو راق ، ومن دون رقي ، لذلك يعتبر أن عمله اطار الأدب الثقافة ، متسائلا : كيف يمكننا احداث نقلة نوعية للفعل النقدي من النقد الأدبي إلى الثقافي ؟

هكذا يرى أن " النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام ، ومن ثم فهم أحد علوم اللغة وحقول الألسنة معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه ويتغير ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء ومن حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي ، وهو لذا اهمني بكشف لا الجمالي كما شأن النقد الأدبي ، وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغة الجمالي ، فكما أن لدينا نظريات في القبحيات لا بمعنى عن جماليات القبح ، مهما هو إعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي وتعزيزه ، وإن المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي وللحد النقدي "[1] وبهذا يعين العديد من العلميات الإجرائية والتي تتمثل في :

*نقله في المصطلح النقدي ذاته.

*نقله في المفهوم.

*نقله في الوظيفة.

*نقله في التطبيق.

أولا :النقلة الاصطلاحية : تتمثل النقلة على مستوى المصطلح النقدي في ذاته ستة عمليات ترتكز أساسا على نقد العمليات النقدية والمفاهيم السائدة في النقد الأدبي محاولا تجاوز البعض منها وتطوير البعض الآخر ، وتتم هذه النقلة على مستوى :

[1] _ المرجع نفسه : ص (83-84)

1_ عناصر الرسالة (الوظيفة النسقية): يسند على نظرية جاكسون في التواصل والتي نقلها من الإعلام والاتصال إلى الأدب والتي ترتكز على ستة عناصر:المرسل ، المرسل إليه ،الرسالة ، السياق ، الشفرة ، الاتصال ؛ والتي تقابلها ستة وظائف : النفعية ،التعبيرية ،المرجعية ، المعجمية ، التنبيهية ، الشاعرية (الجمالية)، ويرى الغذامي أنه سيضيف وظيفة سادسة هي الوظيفة النسقية و إلى جانب عنصر جديد هو عنصر النسق .

وبالتالي أمام سبعة عناصر لنظرية التواصل وسبعة وظائف ، وقد أجملها الغذامي في المخطط التالي :

الشفرة

السياق

الرسالة

المرسل .....المرسل إليه

أداة الاتصال

العنصر النسقي

تشكل هذه الإضافة بالنسبة للغذامي أساس نظري لدراسته ، معتبرا أن هذا النسق هو أساس النقد الثقافي .

2_ مجاز والمجاز الكلي : المجاز بالنسبة للغذامي لا يمتلك وفقط قيمة بلاغية /جمالية بل قيمة ثقافية ، حيث يعتبر المجاز مفهوما بلاغيا يدور حول الاستعمال المفرد للفظة المفردة ،ونظرية المجاز تقوم على الازدواج الدلالي والذي يسمى المجاز والحقيقة والذي يصف حركة اللغة في تحويل القول من معنى إلى آخر .

ينبغي في نظره تجاوز هذا المعنى العتيق و ذلك بنقد المفهوم البلاغي للمجاز ، واقتراح " مفهوم ثقافي للمجاز يوسع من مجاله ويهيئه لاستعمال نقدي أكثر وعيا بالفعل النسقي

وتعقيداته"[1] والتأمل في الفعل الثقافي من حيث أداؤها التعبيري المباشر ثم التأثيري غير المباشر وهذا يعني أن ذلك يتم على مستوى المجاز إلى مجاز الكلي حيث المعنى الدلالي يتجاوز العبارة والجملة إلى الخطاب الثقافي في بعده الكلي الجمعي .

3_ التورية الثقافية : التورية تعنى بالظواهر التعبيرية المقصودة فعليا في صناعة الخطاب وفي تأويله ، وفي نقد الثقافي لا نعنى –حسب الغذامي- بالوعي اللغوي بل معنويا بالمضمرات النسقية ، والمعنى المقصود في التورية هي المقصد البعيد ، ويخضع العملية للقصد أي للوعي ويحولها باللغة جمالية إلى التورية ترتكز على ازدواج دلالي : بعيد وقريب ، في حين سيغير هذا المفهوم في النقد الثقافي ليدل على حال الخطاب إذ ينطوي على بعدين أحدهما مضمر ولا شعوري ليس في وعي المؤلف ولا في وعي القارئ إنه مضمر نسقي ثقافي لا يكتبه كاتب فرد ولكنه إن وجدعبر عمليات من التراكم فرد ، ولكنه إن وجد عبر عمليات من التراكم والتواتر حتى صار عنصرا نسقيا الخطاب ورعيه الخطاب من مؤلفين و القراء .

بذلك يدعو الغذامي إلى تورية ثقافية إذ المضمر في النصوص لا يوجد في النص بل في المضمر الثقافي.

4_ نوع الدالة : الدلالة النسقية : النقد الأدبي بنى مشروعه على ازدواجية : دلالية صريحة دلالية ضمنية ويقترح الغذامي دلالة ثالثة هي : الدلالة النسقية .

ونكاد لا نجد تعريف واضحا لهذه الدلالة في نص الغذامي ، بل يعتبرها ميتا فيزيقه وغير دالة وغامضة، لذلك يدعونا بالتسليم بها و فقط حيث يقول : " المهم هنا هو أن نسلم بضرورة ايجاد نوع الدالة من الدلالة هو (الدلالة النسقية) وعبر هذه الدلالة نسعى إلى الكشف عن الفعل النسقي من داخل الخطاب وقبل عن الفعل النسقي من داخل الخطاب " ، وقبل هذا القول نقرأ فعلا عبارات لا معنى لها بتاتا وخاصة في مشروع يعتبر نفسه مشروعه نظريا يسعى إلى بناء نظرية في الأدب و الثقافة عموما: إن الدلالة النسقية ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصرا فاعلا ، لتكون عنصرا ثقافيا أخذ بالتشكل تدريجيا إلى أن أصبح عنصرا فاعلا ، لكنه ويسبب نشوئه التدريجي تمكن من التقلقل غير الملحوظ وظل كامنا هناك في

[1] _ المرجع نفسه ، ص66-67.

أعماق الخطابات و ظل ينتقد ما بين اللغة والذهن البشري فاعلا أفعاله من دون رقيب نقدي لانشغال النقدي الجمالي أولا ثم لقدرة العناصر النسقية على الكمون والاختفاء[1] .

ويعتبر أن الدلالة النسقية ذات دلالة ثقافية مرتبطة بالجملة الثقافية .

5_ الجملة النوعية : الجملة الثقافية : يتضح أن المنطق المتحكم في الثقافي هو التقابل بين النوع الأدبي والنوع الثقافي .

فالجملة الثقافية هي النوع المقابل للجملتين النحوية والأدبية ، لا يعرض أسس هذه الجملة بل يجعلها مشروطة بأنواع الدلالات

السابقة : النحوية ، الأدبية والثقافية مشيرا إلى أن الثقافة هنا مأخوذة بدلالتها الأنتروبولوجية[2].

6_ المؤلف المزدوج : إن الثقافة – ويضع هنا أن نتحدث عنها كخلفية لم تعد كما تفهم ذلك من خلال قول الغذامي ، مجرد موجه بل مؤلفا بحيث تقرأ " كل ما تقرأ وما تنتج وما نستهلك هناك مؤلفين اثنين / أحدهما المؤلف المعهود ، مهما تعددت أصنافه كالمؤلف الضمني والنموذجي والفعلي والآخر هو الثقافة ذاتها ، أو ما رأى تسميته بالمؤلف المضمر". [3]

وهو مايسميه بالمؤلف النسقي ، إنه مؤلف مزدوج : مؤلف معهود ومؤلف ثقافي مضمر .

ثانيا : النقلة في المفهوم _ النسق الثقافي : يطرح ثلاثة أسئلة مركزية ما التنسيق الثقافي ؟ كيف نقرؤه ؟ كيف نميزه عن سائر الأنساق ؟ يكتسي مفهوم النسق دلالة خاصة يحددها فيما يلي :

---

[1] _ التعدد الثقافي ، ص72.

[2] _ هذا القول شكل مجالا للسجال كما يحددها الغذامي ويحصرها في مشروعه ، ونخص بالذكر هنا مشروع صلاح قنصوة في كتابه " تمارين في النقد الثقافي" (دار مريب)

[3] _

1_ يتحـدد في وظيفتـه ولـيس عـبر وجـوده المجـرد ، والوظيفـة النسـقية هاتـه تتخـذ أربـع مواصفات :

أ_ نسقان يحدثان معا وفي آن في نص واحد أو في ما هو يحكم النص الواحد.

ب_ يكـون المضـمر منهمـا نقيضـا ومضـاداً للعلـني ، ذلـك أن الـنص لا يـدخل ضـمن النقـد النسقية هي الأصل في النقد الثقافي ، إنها أداة للكشف والتأويل .

2_ النسـق كدلالـة مضـمرة ليسـت مصـنوعة مـن المؤلـف بـل الثقافـة ومسـتهلكا ، جمـاهير اللغـة من كتاب وقراء يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال و المهمشين مع المسود.

3_ النسـق ذو طبيعـة سـردية خفـي ومضـمر وقـادر علـى الاختفـاء دائمـا ويسـتخدم أقنعـة جمالية لغوية .

4_الأنسـاق الثقافيـة :تاريخيـة أزليـة راسـخة لهـا الغلبـة دائمـا، وعلامتهـا هـي انـدفاع الجمهـور إلى استهلاك المنتوج الثقافي.

5_ الجـبروت الرمـزي ذي طبيعـة مجازيـه كليـة وجماعيـة ، يقـوم بـدور مجازيـة كليـة وجماعيـة ، يقـوم بدور المحرك الفاعل في الذهن الثقافي للأمة ، إنه المكون الخفي لذائقتها المهيمنة.

6_ ضـرورة وجـود نسـقين متعـارفين : يقصـد الخطـاب (ولـيس الـنص) أي نظـام التعبـير والإفصـاح سـواء في نـص مفـرد أو طويـل مركـب أو ملحمـي أو في مجمـوع إنتـاج مؤلـف مـا أو في ظاهرة سلوكية...

ثالثـا : النقلـة في الوظيفـة – وظيفـة النقـد الثقـافي: يـدعونا الغـذامي في هـذه النقلـة إلى ضـرورة الانتقـال مـن نقـد النصـوص إلى نقـد الأنسـاق الثقافيـة وهنـا تـأتي وظيفـة النقـد الثقـافي مـن كونـه نظريـة في نقـد المسـتهلك الثقـافي (ولـيس في نقـد الثقافـة هكـذا بـإطلاق أو مجـرد دراسـتها ورصـد تطبيقهـا وظواهرهـا) مـع العلـم أن مجـال نقـده للنصـوص الأدبيـة في القسـم الثـاني كمجـال تطبيقـي (وهـذا هـو

النقلة الأخيرة والتي شغلت حيزا كبيرا في الكتاب) لم يستطع الإلمام بالبناء الثقافي الذي يؤطر النص، ونعتقد أن هذه المسألة تقودنا إلى بعض الملاحظات حول مشروع الغذامي.

ملاحظات حول "مشروع النقد الثقافي" : لقد سعى العديد من المهتمين بالنقد في الأدب العربي إلى إبداع "قول" فيها استجده الغذامي في الساحة النقدية العربية ، وبين ناقد [1] لهذا المشروع النقدي الجديد وبين مدافع عنه ومنبهر به ، نتوقف أساسا على مدح الدكتور السعودي **مصطفي الضبع** لمشروع الغذامي وذلك في عرضه أمام مؤتمر أدباء مصر[2] والذي اعتبره "مشروعا وطرحا جديد على مجتمعنا العربي" لأنه يمثل " استيعاب الناقد لكل ما طرح على الساحة العالمية في الموضوع" ولأنه هام جدا يسعى إلى "مراجعة الكثير مما كرسه النقد الأدبي عبر عصور التراث العربي السابقة" وقد وصل به الأمر إلى حد اعتبار هذا المشروع لا يحتاج إلى تبسيط لأن ما يميز "الطرح الثقافي في بساطته وبعده عن التعقيد " مكتفيا بالاستشهاد بمقتطفات من كتاب الغذامي "النقد الثقافي" ويحدد مميزات هذا المشروع في كونه

التكامل : حيث يتكامل مع الأنواع النقدية الأخرى وينبذ الهيمنة الإنفرادية .

التوسع : حيث ينظر من زاوية النشاط الإنساني المتكامل منفتح على أشكال متعددة من هذا النشاط .

الشمول : حيث يشمل كل مناحي الحياة .

الاكتشاف : يسعى إلى اكتشاف جماليات جديدة .

الحرية : فالنقد الثقافي يشترط حرية أوسع وساحة أكبر للحرية سواء في موضوعه أو في طرائقه.

وبغض النظر عن مساهمات أخرى تذهب في نفس الاتجاه ، أي إلى تأكيد وتعداد مزايا مشروع النقد الثقافي لدى الغذامي ، فإننا نسوق هنا بعض الملاحظات التي تبدوا لنا جديرة

[1] _ إن النقد الذي هص به النقاد مشروع الغذامي ، ليس يهين ، بل اتخذ مسارات لا نعتقد النص الأدبي أنها ستفيدنا.

[2] _ مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم ، ألمانيا 23-26 ديسمبر 2003

بالتسجيل ، لأن الوقوف على كل القراءات التي تمت طوال تسع سنوات منذ ولادة المشروع ليس هين .

أعتقد أن الغذامي يريد أن يعرض نظرية جديدة دقيقة ومنهجية سيسميها النقد الثقافي والتي يؤسس أغلب عناصرها ردا على النقد الأدبي : يؤسس جل عناصر نظريته من خلال عناصر معروفة في النقد الأدبي : المجاز ، التورية ... معتبرا أن النقد الثقافي أهم من النقد الأدبي ، لذلك فالمؤلف مؤلفان معهود ومضمر (هو الثقافة) ، لكن السؤال الجدير بالاهتمام هنا هو : لماذا ينبغي تجاوز النقد الأدبي إلى النقد الثقافي [1] .

إن النقد الثقافي لا يمكن أن يكون بديلا للنقد الأدبي ، وهو ما يحيل عليه الغذامي نفسه ولو يشكل عرفي لأن النقد الذي يوجهه للنقد الأدبي ليس نقدا فارغا بل محمول بنوع من الازدراء (حيث صب المهتمين بالنقد الأدبي جام غضبهم على الغذامي حيث نقرأ " أننا غضبهم على الغذامي ") إننا نقول بمفهوم المجاز الكلي متصاحبا مع الوظيفة النسقية للغة ، والاثنان مع مفهومان أساسيان في مشروعنا في النقد الثقافي كبديل نظري إجرائي عن النقد الأدبي ، وهنا نلاحظ الرغبة الخفية في مشروع الغذامي والمتمثلة في الفصل على الاستبدال النقد الأدبي بالنقد الثقافي، وهو يتمصوره بديلا، ويقول في مقدمة الكتاب : " وبما أن النقد الأدبي غير مؤهل لكشف الخلل الثقافي فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي ، واحلال النقد الثقافي مكانه ، ولما ذلك في تونس في ندوة الشعر عقدت في 22 سبتمبر 1997 وكرر ذلك في مقالة في جريدة الحياة (أكتوبر 1998) [2]

ولا يسع القارئ لكتاب الغذامي إلا أن يلاحظ التناقض الصارخ لا يستطيع الغذامي تجاوزه بين اعتبار النقد الثقافي بديلا بين القول بالتداخل وبين النقدين حيث نقرأ في مقدمة الكتاب " وليس القصد هو إلغاء منجز النقد الأدبي وإنما الهدف هو تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة

[1] _ هو سؤال أساسي بالنسبة للمدون مسعود عمشوش ، ولأن التدوين لا يعتمد مرجعا مؤقتا منه فإننا لا نستطيع أن نبني على نصه المقالي باعتباره حالة مرجعية .

[2] _ المرجع نفسه ص 69.

الجمالي الخالص وتبريره (وتسريقه) بغض النظر عن عيوبه النسقية" [1] ولعل هذا يعود أن ملهم الغذامي ، الأمريكي ليتش فنسنت لا يستطيع بدوره أن يلغي النقد الأدبي وأن يحل محله النقد الثقافي ، ولا يهمه لأنهما يشكلان بالنسبة له بالنقدان مختلفان ، على الرغم من نقط الالتقاء والترابط بينهما ، وهو لا يدعو إلى الفصل بين النقدين فمن تخصصي النقد الأدب يمكنهم ممارسة النقد الثقافي دون أن يتخلوا عن اهتماماتهم الأدبية ، واتخذ هذا النظر في مشروع الغذامي شكلا مبهما غير واضح لأن النقد الثقافي في نظره يستدعي تغييرا في بنية المصطلح والمفهوم حيث يقول " إن اعمال المصطلح النقدي الأدبي اعمالا يتسمى بالأدبي ، ويتخذ له صفة أخرى هي الثقافي ، يستلزم إجراء تحويلات وتعديلات في مصطلح لكي يؤدي المهمة الجديدة [2]

وإذا كان النقد الثقافي يستدعي تغييرا في المصطلح ، فكيف يمكن للنقد الأدبي أن يظل حاضرا في عمل الناقد وهو مجرد من البنية المفاهيمية ؟

كيف يتصور الغذامي الثقافة في مشروعه ؟ أو ما طبيعة البنية الثقافية التي يتحدث عنها في مشروعه باعتبارها هي المؤلف وهي المتحكمة في كل انتاج أدبي ؟

إننا لا نجد –كما أشرنا سلفا- أي تحديد الطبيعة الثقافية في مشروع الغذامي ، بل اكتفى بالإشارة إلى أن المعنى المقصود هو المعنى الأنتروبولوجي ، وبهذا نتسائل هل تشكل الثقافة بنية مستقلة بذاتها خارج أي شروط أخرى ؟ هل يفعل الثقافي في المبدع خارج البنى الأخرى التي تحكم تصوره ؟

إن الثقافي لا يشكل إلا بنية من البنيات الأساسية التي تتصل في مجتمع من المجتمعات و هي بنية (تتشكل بمعزل عن البنى الأخرى ، بل تتفاعل معها و تعد مكونا من مكوناتها ، هكذا تغدوا الثقافة بنية محكومة بشروط عدة ، وقابلة للتطور وللتغيير وفي نفس الوقت لا يمكن تصور البناء الثقافي باعتباره بناء متحجرا وجامدا يفعل فعله خارج الزمان والمكان إن الإقرار بتحول وتغير البناء الثقافي المكون للهوية الفردية والجماعية معا والذي تظهر في أي عمل إبداعي أدبي

[1] _ المرجع نفسه ص8.

[2] _ المرجع نفسه 61-62.

كان أو غير أدبي ، يجعل نظرية الغذامي في النقد الثقافي محط سؤال ، ففي معرض حديثه عن دلالته مفهوم " النسق الثقافي " وعن وظائفه يعتبر أن الأنساق الثقافية " تاريخية ، أزلية ، راسخة لها الغلبة"" أي أنها ثابتة تظل كما هي وهذا ما ينفي عنها أي تغير أو حركة .لأن التغير والحركة في النسق الثقافي يهدم كل مشروع يقوم بإمكانية الكشف عن الأنساق في النصوص وفي نقد المؤسسة ، بكل بساطة لأن النسق بدوره سيغدو متحركا ومتغيرا ومن الصعوبة الإمساك به .

إن النسق الثقافي لا يمكن أن يظل غارقا في ركن ما من العالم ، شأنه شأن الخطاب الثقافي بل هو ينشأ نتيجة عوامل تاريخية متراكمة ويتحول في نفس الوقت وهكذا اذا كان الثقافي مشروطا بالتاريخ ، فإنه غير بعيد عن السياسة ، ذلك أن البناء الثقافي ككل يظل مشروعا بعوامل سياسية ، حيث يمكن لعوامل سياسية معينة أن تفرض نمطا معينا من الثقافة والعكس صحيح، يمكنها أن تلغي نمطا معينا ، إلا أن هذا التداخل بين السياسي والثقافي لا يكفي الحضور المستمر للربط ولمجموع الممارسات الثقافية التي تميز مجتمعا عن الآخر [1]

إن الحديث عن جوهر ثابت للأنساق الثقافية يضرب بعرض الحائط الجوهر الحقيقي للأنساق الثقافية ، فالنسق الثقافي في اعتقادنا هو نسق بشري ، منتوج بشري مشروط بوضع الانسان عبر الزمان والمكان ، وهذا هو سر اختلاف الأنساق الثقافية ، أي أن النسق الثقافة بنية مشروطة تاريخيا بتغيرات وطبائع الأسس وأحوالهم ، وعليه لا يطرح عن النسق الثقافي نسقا يقع وراء التاريخ ، بل هو في صلب التاريخ مما يطرح ضرورة النظر إلى الأنساق باعتبارها أنساقا متغيرة ومتفاعلة فيما بينها فهل يمكن القول على أن الأنساق الثقافية التي تحكم الأدب العربي هي أنساق منغلقة وبعيدة عن أي تفاعل مع غيرها ؟

بمنظور الغذامي إذا كنا نسعى إلى حداثة عقلانية ومنفتحة فإنه نسقا ثقافيا منغلقا على نفسه ومتحجرا لا يقبل التغيير ولا يصلح أن يكون ... لعقلانية منفتحة .

[1] _ بصدد هذه النقطة بالذات نستحضر سجالات فيصل دراج التي نشرها في كتابه " الثقافة والسياسة"

باستدعاء منظور ميشيل فوكو فإن النسق مجموعة من العلاقات تستمر وتتحول في استقلال عن الأشياء التي ترتبط فيما بينها وهذا ما ..... أمام دور النسق الثقافي في تشكيل الهويات وتحديدها إذا اعتبرنا النسق خارجا عن الذوات التي يفعل فيها ، فهذا لا يعني أنه ثابت وأزلي، كما لا يعني أن النسق هو خطاب فوقي معزول عن أي تأثير فعلي وهذا ما نستنتجه من قول الغذامي نفسه.

"الدلالة النسقية ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصرا ثقافيا أخذ بالشكل التدريجي إلى أن أصبح عنصرا فاعلا " وكملاحظة أخيرة نوجز الكلام في مسألة الجمالية والقبحية : إن سر اهتمام الثقافة الغربية بالجمل القبيحة ، ودعوتهم إلى ضرورة تأسيس نظرية القبحيات في الأدب يكمن في اعتقادنا في الثورة على العقل والانفتاح على ما بعد الحادثة ، وهو انفتاح يقابله بالأساس تغيرات حقيقية على جميع المستويات ، وهذا يختلف كليا وجذريا مع واقع حالنا ، فالثقافة الهامشية في الغرب فرضت نفسها على النقد وليس النقد هو من له الفضل في اكتشافها ، والتعبيرات خارج المؤسسة فرضت نفسها بغض النظر عن قيود المؤسسة والإقصاء الذي تمارسه في حق الثقافة المهمشة .

وعلى هذا الأساس نقول أن الفائدة التي تضيفها لنا هذه الجملة المتنبي مبدع عظيم أم شحاذ عظيم ، فوصفه في النقد الأدبي أنه مبدع عظيم لا يتعارض مع وصفه في النقد الثقافي بأنه شحاذ عظيم لأن حال المتنبي هو حال رجل ترك لنا نص ، و بغض النظر عن وضعه هل هو مبدع أم شحاذ ، فإن ما يهم هو النص وما يمتلكه من قيمة جمالية كانت .... إن هذه العبارة في نظرنا تختزل جزءا من مشروع الغذامي أبريل 2009

✍ المبحث الثالث : المصطلح النقدي في الكتاب

تكتسي الثقافة أهمية كبيرة عند جميع الأمم منذ القدم ، إذ سعوا إلى دراستها وفهمها على ما يعتريها من غموض ، فالثقافة مصطلح عام وفضفاض وهلامي ، يختلف من حقل معرفي إلى آخر

ويكتسب خصوصية معينة ترتبط بالضرورة بالاختصاص الذي يدرسه . والثقافة لغة من : ثَقِفَ الشَّيْءَ حَذَقَهُ ، ورجل ثَقِفٌ ، حَاذِقٌ فَهِم ، وثَقُفَ الرَّجُل ثقافةً أي صار حاذقاً خفيفاً[1] .

وربّما لا نختلف على المفهوم العام للثقافة كونها ملازمة للجنس البشري ، أوْجَدَها ووُجِدَت فيه فهي :" ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع عن البيئة ومعبر عنها أو مواصل لتقاليدها"[2]. وارتباط الثقافة بالإنسان وثيق لدرجةٍ تُضَخَّمُ من أهميتها في حياته حيث " تحتل الثقافة مكانا بارزا في دراسات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية . إذ بغير هذه الدراسة لا يستطيع الباحث أن يتعرف على الفرد أو الجماعة أو المجتمع ، أو يفرق بينهم .....، إن الثقافة هي التي تميز الجنس البشري عن غيره من الأجناس ؛ لأن الثقافة هي التي تؤكد الصفة الإنسانية في الجنس البشري .[3]

فالثقافة لصيقة بالإنسان للدرجة التي تحدّد وتؤكد فيها إنسانيته ، وتمثّل الفاصل الفارق بين الجنس البشري وغيره ، ومن ناحية ثانية فالثقافة تتغلغل في الأوساط الاجتماعية ، والعلاقات بين الأفراد لتكون " مجموعة من الصفات الخلقيّة و القيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريًّا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"[4] . ولكن مفهوم الثقافة انحرف عن هذه النظرة البريئة ليُكسبنا نوعا من الحذر في التعامل معها خاصة وأنها " دينامية [نشطة وحية] ومتعددة الأوجه يدخل فيها الاقتصاد والتنظيم الاجتماعي ، والقيم الأخلاقية والمعنوية والمعتقدات الدينية ، والممارسة النقدية والأبنية السياسية ، وأنظمة التقييم والاهتمامات الفكرية ، والتقاليد الفنية .ولأنّ الافتراضات والتقاليد التي تحافظ الثقافة عليها غير

[1] _ ابن منظور : لسان العرب ، ج3 ، تح عامر أحمد حيدر ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2003، ص22 ، مادة (ثقف)

[2] _ حسن مؤنس : الحضارة ، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، عالم المعرفة ،الكويت ، ط1998،2،ص318.

[3] _ مجموعة من الكتاب : نظرية الثقافة ، تر علي سيد الصاوي ، عالم المعرفة ، الكويت ، دط،1997، ص8.

[4] _ مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، تر عبدالصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، ط4 ، 1984، ص74.

واعيــة في أكثــر الأحيــان بــل ومعاديــة، فعلــى البحــث النقــدي في أغلــب الأحيــان أن لا يكــون اجتماعياً وجماعيا فحسب بل تحليليًّا نفسيًّا وجدليًّا أيضًا" [1]

ويتضــاعف الحــذر عنــد الإحســاس بالتنــاقض الــذي تنطــوي عليــه الثقافــة بممارســاتها وتجليتهــا، إذ نــرى الثقافــة "لا هــي منفصــمة على المجتمــع ولا هــي متكاملــة جملــة في كيــان واحــد معــه . وإذا كانــت نقــداً للحيــاة الاجتماعيــة علــى أحــد المســتويات ، فإنهــا تواطــؤ معهــا علــى مســتوى آخــر ، إنهــا لم تكشــف عــن وجــه كامــل بعــد ضــدّ مــا هــو فعلــي وعملــي على نحــو مــا يبــين للعيــان تــدريجيا "[2]. وهــذا مــا أكــده **إدوارد ســعيد** حــين قــال " إن فكــرة الثقافــة تحمــل تناقضًــا وجــدانيًا عميقًــا ، والمــرء يجــب أن يشعر بهذا التناقض الوجداني إزاءها "[3].

فالإمعــان في مخلفــات الثقافــة يكشــف عــن ممارســات تخــدم مصــالح مؤسســاتية خارجــة عــن إرادة العامــة، ففــي حــين يُفــترض بــرواد الفكــر ، والثقافــة العليــا القيــام بتشــكيل وعــي الجمــاهير والتــأثير إيجابيًــا في حيــاتهم ، تخلّــوا " عــن مهمــتهم الأصــلية وعاشــوا العزلــة كاملــة مــن ناحيــة ، وتحــالفوا مــع أنظمــة الحكــم وهــي في الغالــب أنظمــة غــير ديمقراطيــة ، مــن ناحيــة ثانيــة ، تركــوا الســاحة خاليــة أمــام الثقافــة المهيمنــة لتخــترق الثقافــات الشــعبية ، وتغــرس فيهــا قيمهــا المختلفــة ، قــيم الثقافــة الاســتهلاكية ، قــيم الســوق والاســتهلاك والمؤسســات العملاقــة الــتي –بــدأت بــدورها– في التقليــل مــن أهميــة أنظمــة الحكم القومية ، وتمارس الثقافة المهيمنة في ذلك كل آليات الإبهار وأدواته "[4].

هــذه الثقافــة المهيمنــة تســتند إلى آليــات ، ووســائل ســخّرها التطــور العلمــي والتكنولوجيــا للوصــول إلى كافــة فئــات الشــعب ، والتــأثر فــيهم ، وطَمْــس هــويّتهم بــل وتشــكيلها مــن جديــد ؛ فتعمــل علــى " تعمــيم تصــورات وقــيم ثقافيــة معينــة ، وأنمــاط مــن الســلوك بواســطة الوســائل الســمعية البصــرية ،...،

[1]_ فنسنت ليتش: لنقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات ، تر محمد يحي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، دط ، 2000، ص104.

[2]_ تيري إيجلتون: فكرة الثقافة ، تر شوقي جلال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط، 2012، ص22.

[3]_ رايموند وليامز:طرائق الحداثة ، ضد المتوائمين الجدد ، تر فاروق عبدالقادر ، عالم المعرفة ، الكويت ،دط،1999، ص266.

[4]_ عبدالعزيز حمودة: الخروج من التيه ،دراسة في سلطة النص ، علم المعرفة ، الكويت ، دط ، 2003 ، ص326.

إنه والحالة هذه ،فكر الثقافة المهيمنة عالميا يتلقاه المثقفون العرب فيجترون قضاياه ومشاكله ومستجداته في إطار من التبعية والانسلاخ عن الذات ، وربما أيضا باستسلام وانبهار وتنكّر للهوية الوطنية القومية"[1] .

من الواضح أن الثقافة تَبْسُط هيمنتها محليًا وعالميًا ، فهي تشكل وعي المواطن وتقوده كما تفعل مع الإنسان عموماً ، عبر الحداثة التقنية ووسائل الاعلام لتتحكم في العقول والحريات ، والرغبات و الميولات ، وخاصة نمط التفكير ، وهذا لا يعني أنها مرتبطة فقط بالحداثة ، وما أفرزته من تغيرات على مستوى الحياة المادية للإنسان ؛ بل هي موجودة على مر العصور ، على اختلاف في درجة التأثير وعموميته على الناس ،وطبعا في الطرائق المستخدمة لذلك ، وفي هذا يرى **ماركس** إن " ما نسميه (ثقافة) ليس واقعا مستقلا بذاته ، بل إن الثقافة لا تنفصل عن الأوضاع التاريخية التي يبدع بها البشر حياتهم المادية ، كما كان يرى أن علاقات الهيمنة والتبعية (الاستغلال) التي تحكم النظام الاجتماعي الاقتصادي في مرحلة معينة من مراحل التاريخ الانساني هي التي "تحدد" بمعنى ما (ولا "تسبب") الحياة الثقافية الكاملة للمجتمع " [2]

ولعل ما يقرب مفهوم الثقافة أكثر من النقد الثقافي موضوع بحثنا، هو ما أسماه **هشام شرابي** "الثقافة الأبوية المهيمنة " وهي ثقافة الكبار والسلطة الفوقية ؛ ثقافة الوجوه المتجهمة والسلطة العابسة التي تتحكم حتى في قراءتنا للنصوص، وفهمنا لها؛ ففي هذه الثقافة " يستوعب الفرد النص المكتوب كما يستوعب الطفل في الكتّاب نصًّا مقروء (مسموعا) تمّت قراءته فيردّده كما يسمعه ، أي دون أن يقرأه فعلا ، دون أن يفهمه أو يفسر معانيه . بهذا يتحول القارئ من متفهم للنص ومعانيه إلى مستمع يردده وينقله دون أن يستوعبه . هكذا تلغى الثقافة الأبوية

[1] _ محمد عابد الجابري: إشكالية الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،ط2، 1990، ص75

[2] _ رامان سلدن :النظرية الأدبية المعاصرة ، تر جابر عصفور ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دط،1998،ص50.

عملية القراءة ، ومشاركة القارئ في صناعة المعنى ، فيصبح كل نص بالنسبة إليه نصا مملى من فوق لا سلطة له إزاءه "[1]

1.1.2-الخطاب: الخطاب مصطلح لساني يتميز عن النص والكلام والكتابة وغيرها بشكله ، سواء كان نثرًا أو شعرًا، منطوقًا ، أو مكتوباً ، فرديًا أو جماعيًا ، ذاتيًا أو مؤسسيًا ، في حين أن المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد ، وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية ؛ فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية

[1]_ هشام شرابي: نقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين ، مركز دراسات الوحدة العربية ،لبنان ، دط ،دت،ص19.

الفصل الثاني:
الرؤية النقدية في الكتاب

المبحث الأول : ماهية النقد الثقافي بمنظور الغذامي:

في هذا المبحث نود الوقوف عند دراسة الثقافي الذي كانت أول محاولة عربية تبنت المفهوم له في معناه الحديث الذي حدده "فنسنت ليتش" . هي محاولة الناقد السعودي عبدالله الغذامي ، الذي حاول استخدام أدواته النقدية لاستكشاف عدد من الظواهر الثقافية العربية التي لم تستطع مختلف مدارس النقد الأدبي السابقة التصدي لها.

فيعتبر الناقد عبدالله الغذامي من أهم النقاد العرب المعاصرين الذين يملكون مشروع نقديا، ثقافيا ، حديثا ، متكاملا ، ففي كتابه (النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية) يعرف النقد الثقافي على النحو الآتي:" النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام ، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنة معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي..... وللحس النقدي.[1]

كما قال أيضا: "إذن نوع من علم العلل كما عند أهل مصطلح الحديث ، العلم الذي يبحث في عيوب الخطاب ويكشف عن سقطات في المتن أو في السند، مما يجعله ممارسة نقدية متطورة ودقيقة وصارمة "[2].

كما ذكرنا سابقا أن هذه دراسة والتي لا يمكن وضعها ضمن النسق الذي يتحكم في القراءات السابقة ، ولذلك أسباب كثيرة في طابعتها التحولات التي حصلت في الثقافة العربية المعاصرة ، وكما أن هذه الدراسة تكتسي أهمية تاريخية طالما أنها تعبر عن المناهج القرائية الجديدة في تعاملها مع النص التراثي ، والجديد فيها أنها حاولت الإفادة من التعدد الثقافي في دراسة تراث العربي ، ويظهر أنها أول محاولة من نوعها على من نوعها على هذا المستوى ،هذا بالإضافة إلى أن النقد الثقافي لا يزال في بدايات الأولى في الخطاب النقدي العربي.[3]

[1] _ ينظر عبدالله الغذامي ص:83-84

[2] _ المرجع نفسه:ص84.

[3] _ مذكرة النقد الثقافي في النظرية الأدبية عبدالله الغذامي (نموذجا).

الجانب النظري :

إن النقد الثقافي كما يريده الغذامي مصمم لنقد الأنساق الثقافية وهو يهدف إلى تفكيكها والتحرر من سيطرتها في تكييف الأفعال و السلوكات والعلاقات والمعاني وطرائق التفكير ، وذلك يدفع بالنقد من وظيفة الأدبية إلى وظيفة الثقافية . ولن يكون ذلك ممكنا إلا إذا تلازمت مجموعة من الإجراءات:

_ إجراء نقلة في المصطلح النقدي ذاته.

_ إجراء نقلة في المفهوم (النسق)

_ إجراء نقلة في الوظيفة .

_ إجراء نقلة في التطبيق.

أراد الغذامي من هذه المقترحات التي توسع من وظائف الوسائل النقدية وأدوارها أن ينقد النسق الثقافي الذي يتردد كثيرا في ثنايا مشروعه ، ولهذا لا يمكن تقدير أهمية النقد الثقافي بدون أن يكشف عن محمولات النسق الثقافي السائدة وهي محمولات كثيرة ومتنوعة هذا ، هذا هو النسق الذي يجرد النقد الثقافي لمباشرته أما وظيفة ذلك النقد فهي الانتقال من النقد النصوص إلى نقد الأنساق المضمرة أي نقد محمولاتها الثقافية[1]

ب/ الجانب التطبيقي :

يبدأ عبدالله الغذامي في تتطبيقه للنقد الثقافي باستنطاق الأخطاء النسقية التي غزت الشخصية العربية بفعل الشعر ، وأنتهى في تحليلاته إلى فكرة جوهرية مؤداها أن العيوب النسقية في الشعر العربي هي السبب في عيوب الشخصية العربية في مقدمة ذلك شخصية الطاغية/المستبد التي هي إحدى تحليات الفحولة ، ذلك المفهوم المستقر في الشعر العربي القديم ،وبما أن الشعر هو الديوان العرب ، فقد ورثته تلك الشخصية القيم الشعرية ، فأصبحت مكونا أساسيا من مكوناتها في العلاقات والسلوك[2].

يعتبر الهجاء من العيوب النسقية للشخصية العربية المتشعرنة ، وهو من الوسائل الترهيبية التي يستعملها الشاعر لدفع أصحاب المال والجاه لمدحهم ، وهذا يتعلق بقيمتان كريمتان في القبيلة هما الكرم والبخل. فإذا كان الملك يدفع الشاعر لمدحه فهو كريم ، وإذا كان لا يدفع فهو بخيل وسيقع عليه الهجاء ، فكأنما الشاعر

[1] _ ينظر: عبدالله الغذامي ص62.

[2] _ عبدالرحمان اسماعيل السماعيل ، الغذامي ناقد قراءات في مشروع الغذامي النقدي ص 332 .

سلعة يعرضها على الشركات الاشهارية من أجل لفت انتباه الشعب إليها والشاعر يقدر سلعته يثمن معين حسب الطلب . هنا يحول القيم الإنسانية إلى قيم شاعرية.[1]

ومن أنواع الهجاء نذكر الهجاء السياسي الذي يلعب دورا بارزا وظاهرة مكثفة في شعر (أبي عينة بن محمد المهيلي بن ابي عيينة) وعند قراءتنا لطبيعة العلاقة المتوترة التي كانت تجمعه بابن عمه (خالد بن يزيد المهلي)، وجدنا أن أغلب هجاءه كان عليه ، ويعود سبب هذا النزاع بينهما لا سيما أن ولي خالد جرجان حيث سأل خالد بن يزيد أبا عيينة أن يصحبه يخرج معه ، ووعهده الاحسان والولاية وأوسع له المواعيد ، وكان أبو عيينة جنديا ، فجرد اسمه في جريدته وأخرج رزقه معه، فلما حصل لجرجان أعطاه رزقه لشهر واحد ووتشاغل عنه وجفته ، وحاول أبو عيينة الوصول إلى حقه بالحسنى فأعياه ذلك ، عندها هجاه وطعن عليه وبسط لسانه فيه وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووجوده رعيته .

تصور لنا هذه القصة طبيعة الصراع القائم بين الحاكم والمحكوم أو القائد/خالد بن يزيد، والجنيدي/أبي عيينة ، فقد حاول النسق الأول أن يفرض نفسه ، أو سلطته على الآخر بوصفه حضورا متعينا وهامشيا ، من خلال إتباع سياسة الاحتواء والكلام المعسول بغية إقناعه للخروج من الجيش ، ومن ثم تنكر الحاكم/خالد بن يزيد لوعوده وتعهداته في الخطوة التالية ، فأظهر خداعه ومراوغته ، الأمر الذي جعل الجندي المهمش يرفض مبدأ الهيمنة الذي مارسه الحاكم ، القريب بحجة ليتخذ من سلطة اللسان أداة لتعريض بابن عمه المخادع . ووسيلة لإعلان أداة لتعريف بابن عمه المخادع . ووسيلة لإعلان الذات وإثبات مركزيتها وفاعليتها في الوجود .

بُح بما قد كنت تُخْفيهْ وَصَرَحَ لإخفاء
ما على هذا أعزاء غلبَ الثبر العزاء
وبدا لأمر المغطى كاشفا عنه الغطاء
خالد كلفني جر فإن ظلما واعتداء
إن من كان مسيئا لحقيق أن يساء

[1] _ المرجع نفسه ص333.

تصور لنظم لأبيات حركة الصراع المحتدم بين الشاعر وابن عمه ، بحيث يتحول ابن عم القريب ، في رؤية الشاعر إلى آخر وخصم لدود ، من هنا يرى الشاعر أن البوح بمثل هذا الآخر وتعرية عالمه الزائف خير وسيلة لإثبات الوجود الذاتي أمام ظلم السلطة وجبروتها

"بح ما تخفيه وصرح ... وبدأ الأمر ... خالد كلفني جرجان ظلما .

في قراءتنا لقصيدة أبي عيينة نجده يحاول إبراز تفرد الذات الشاعرة وقدرتها على كشف عيوب الآخر وسلوكه المخادع ، ولهذا يجعل الهجاء عنده أداة فاعلة ومؤثرة في الإساءة إلى الخصم والتقليل من شأنه على الرغم من نزعة الحضور السلطوي لديه.

كما نلاحظ أن أبي عيينة يتخذ من الهجاء وسيلة تطهيرية عليه تخلص يفعلها من مؤامرات خصمه ، وبذلك يتحول هجاءه على ابن عمه ضربي ابن الثورة :

خُطةٌ ما نلِـــث مـــــنها طائـــلاً إلا العناء[1]

لقد تمكن الشاعر من تفعيل لغة البوح أو ما يمكن بسياسة التحول في مواجهة منطق الفعل السلبي الذي ينهجه الآخر/ قد أفضت هذه السياسة إلى وضع تحولات جذرية في عالم المهجو ، نحو كما يبدو ، يجرد من الرتبة الإنسانية ليحل في رتبة دونية بهيمية ، ولا شك في أن مثل هذه التحولات السلبية في عامة المهجو تنقص مركزية حكمة/سلطته ، وتجعل ثورة كبريائه مشوهة ومتلاشية.

خالد لولا أبـــــــوه كان والكلب ســـــواء
لوكان كما ينقص يزداد إذا نال السمَاءَ[2]

ولذا فإن صوت الأنا المتعالي سرعان ما يطغى في فضاء النص ، ليؤكد انتصار الذات على خصمها ، وليعلي منه قدرة ، وليثبت قدرة الهجاء/ سياسة القول ، على فرض هيمنتها وتحقيق صورة الذات الاستعلائية التي تسلب خصمها كل مقومات الحكم والوجود السلطوي إن حضور الصوت لأنوي (الأنا) يفصح عن رؤية جديدة الأحداث والأشياء في إطار فكرة الصراع الثنائي بين الشاعر وابن عمه فهذا الحضور لأنوي سرعان ما ينقض المعادلة التي يؤمن بها المهجو الحاكم ، إذ يتحول المركزي ، كما تشيء

[1]_تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر ، مؤتمر النقد الدولي 11، ص1368.
[2]_المرجع نفسه ص 1369 .

دلالـة الأنـا إلى هـاشمي مجـرد المعـاني الإنسـانية ،كمـا يصـبح الهـاشمي/الشـاعر حـدثا إحلاليـا اسـتبداليا يعـزز حضوره بفعل إثبات صوت الأنا القائم على محو صوت الآخر وإلغائه ، وبالتالي فإن هذه الأنا تأخذ منحى مدحيا احتفائيا ذا وظيفة غائبة في الحياة ، تهدف إلى تشويه صورة الآخر ونقض تمركزه بفعل الهجاء.

إن تحول الشاعر من حالة الصمت التي أشار إليها في مفتتح النص "بح بما قد كنت تخفي" إلى مشهد الصوت المنفعل الماثل في نهاية النص ، يشير بفداحة الإحساس بالظلم الذي بات يستشعره أبو عيينة في ظل علاقته بابن عمه ، وقد دفعه هذا الإحساس السلبي إلى تكريس لغة الهجاء بوصفها أداة ناقضة وهادمة تؤثر في الآخر/ الخصم ، وتجعل المدح في حياته مدحا مقلوبا ومديحا بألفاظ الهجاء والإساءة:

أنا عشت عليه أسوأ الناس ثناء[1]

ونجد أن ابن عيينة قد واصل في هجاء ابن عمه بلغة انفعالية تكشف ، لنا لأول مرة ما يكنزه لعدوه حقدا وشعور متنام ، يقول في قصيدة هجائية يفتتحها بمقدمة غزلية:

ياخالد بن قبيصة هجيت بي حربا قدوتك فأصبر لحروبي
لما رأيت ضمير غشك قد بدا وأبيت غيرتهم وقطوب
وعرفت منك خلائقا جربتها ظهرت فضائحها على التجريب
خليت عنك مفارقا لك عن قلي ووهيت للشيطان منك نصيبي
فلقت نظرت إلى الوصافة مرة نظرا يفرج كربة المكروبي
لأمزقنك قائما أو قاعدا ولأرويت عليك كل عجيب
ولتأتبن أباك فيك قصائد حبرتها يتشكر مقلوب
ولينشدن بها الأنام قصيدة ولتشتمن وأنت غير مهيب
ولآذينك مثلما آذيتني ولأشلين على نعاجك ذيبي [2]

تعكس هذه الأبيات صورة الذات الإنسانية القلقة على وجودها بعد أن أوصلتها علاقتها بالآخر السلبي إلى درجة كبيرة من الندم ، وتتجلى ضدية العلاقة بين الشاعر وابن عمه يشكل واضح، من خلال

[1] _ المرجع نفسه ص 1369.

[2] _ تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر ، مؤتمر النقد الدولي 11، ص1369.

تركيز الشاعر على الفعل البطولي المتمثل في الهجاء في مواجهة ضمير الأنا/الخصم، الذي يرى في رؤية الشاعر هدفا للسخرية والانتقام.

عند ملاحظتنا لهذه الأبيات الشعرية رأينا أن عيينة أراد أن يؤسس نموذج إنساني مثالي تجعل من الصحبة الحقة والسلوك الإنساني القويم مثلا ساميا في الحياة وهذا ما دفعه للكشف عن واقع الصحبة الزائفة بعد فوات الآوان مع ابن عمه بن يزيد :

خليت عنك مفارقا لك عن ها ووهيت للشيطان منك نصيبي [1]

وأثناء تقيمنا لطبيعة العلاقة الموجودة بينهما ، نجد أن فكرة الصحبة اقترنت عند الشاعر بفكرة الشر أو العمل الشيطاني كما ألمحنا وقد اتضح للمتلقي أن الشاعر بدأ بأخذ على عاتقه مسؤولية الإطاحة بالآخر خالد بن يزيد والقضاء على سلطته ، إذ نلحظ أن هذا الهدف المعلن أصبح يستغرق الزمن الآتي كما تدل الصيغ التالية :

لأمزقنك ....، ولأروينك.....، ولينشدن...،ولأشيلن....

ويظهر لنا في صيغ الأفعال السابقة صوت الأنا الذي يتحول إلى نسق تدميري لمنجز آخر إذ يمكن رصد أفعال هذا النسق وتحركاته في الصراع مع الآخر وفق الخطاطة التالية :

الشاعر

لأمزقنك ← استهدف جسد الآخر للموت

لأروين ← تشويه ذكر الآخر انمول ذكره

لتأتين ← ممارسة الخداع (المعاملة بالمثل)المدح.

اشتمن ← القدح واحتقار الآخر ، انهزام.

لأوذينك ← الأذى النفسي /تطهير أذي الذات

لأشلين ← لذة الانتصار ، وتحول السلطة . [2]

[1] _ المرجع نفسه ص 1281-1282.

[2] _ تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر ، مؤتمر النقد الدولي 11، ص1283.

إن تهديد الشاعر لخصمه جاء مرتبطا بلغة هجائية ،باستفزازية هدفها خلق تحولات سالبة في عالم المهجو ، سما بجرد الآخر/خالد بن يزيد من خاصية التفرد السلطوي ، بفعل تمرد الذات الشاعرة وسعيها الدائب لقلب الجماهير ضد سلطة الآخر .

يمكننا القول إن الأبيات السبعة الأولى من القصيدة ، بات حلم يراود الشاعر في ضوء علاقته بمحبوبته "دنيا" وقد قال الشاعر في ذلك مخاطبا :

دنيا دعوتك مسمعا فأجيبـــــــي وبما اصطفيتك في الهوى فأثيبي
دومي آدم لك بالصفا على النـــوى إني بعهدك واثق قثيقي بـــــــي
وفي الدليل على اشتياقي عبرتـــي ومشيت رأسي قبل حيث مشيبـــي
أبكي إليك إذا الحمامة طربـــــت ياحسن ذلك إلي من تطريـــــــب

هذه العلاقة التي يحلم بها الشاعر أن تكون بينه وبين الدنيا هي علاقة معاكسة لها ، إذا ما قورنت بالعلاقة الأولى ، لذا فالشاعر يريد لهذه العلاقة أن تكون العلاقة الأعلى في الحياة .

كذلك من الحيل التي يوظفها أبا عيينة في قصائده الهجائية ، هي الحضور الجمعي بصدد تدمير سلطة الخصم ، من خلال خلق حالة بين صوت الشاعر /وصوت جماهير التأييد ، مما يسهم في توليد الإحباطات اللامتناهية في نفسية الخصم ، يقول الشاعر مخاطبا أصحابه:

دعوني وأبا خالد بعد ساعـة سيحمله شعري ...الأغـــــــر
كأني بصدق القول لما لقيته وأعلمته مافيه ألقمته الحجـــــر
دنيء به كل خير بـــــلاده لكل قبيح عن ذراعيه قد حسـر
له منظر يعمي العيون سماحة وإن يختبر يوما فيا سوء مختبر
الطلب بعد اليوم صحبة خالد جحدت إذا ما أنزل الله في السور

أبوك لنا غيث نعيش بوبلـــه وأنت جراد ليس يبقى ولا يـــدر

له أثر في المكرمات يسرنـــا وأنت تعفي دائما ذلك الأثـــــر
تسيء وتمضي في الإساءة دائيا فلا أنت تستحي ولا أنت تعتذر
لقد قنعت قحطان خزيا بخالـــد فهل لك فيه يخزك الله يا مضر[1]

[1] _ المرجع نفسه ،ص1288.

هـذه الأبيـات تصـور في مجملهـا معانـاة الشـاعر بعـد سـفره مـع ابـن عمـه وقائـده خالـد بـن يزيـد إلى جرجـان ، وفـتح الشـاعر حديثـه مـع الجماعـة حـول المصـير الـذي آل إليـه ، وباحـث عـن إجابـة جماعيـة محـددة لطبيعـة هـذا الوجـود أو المصـير ، لأن الشـاعر أمتحـى حـائرا بـين شـعورين ضـدين الأول يتعلـق بحلـم الشـاعر بالقفول والحنين إلى الوطن الأصيل/ البصرة ، والثاني يمثل صورة الإحساس :

ألا خيروا إن كان عندكم خير أنقفل أم نثوي على الهجر والضجر

في هـذه الأبيـات تكـون لـدى الشـاعر صـورتين ، الصـورة الأولى تتمثـل في المكـان الجديـد جرجـان ، المعقـم بالمآسـي والهمـوم ، وهـذا مـا ألقـى يظلانـه علـى حيـاة الشـاعر نفسـه ، والصـورة الثنائيـة هـي إطـار المكـان الحلـم ، وما يتأسس عليه هذا الحضور من علاقات إنسانية قائمة على المعاني النيل والصدق والسمو:

فيا نفس قد بدلت بؤسا بنعمـــة و باعين قد بدلت من قرة عـــــــين
وفتيان صدق هممهم طلب العـلا وسيماهم التعجيل في المجري والغزر
لعمري قد فارقتهم غير طائـــع ولا طيب نفسا بذاك ولا مـــــــقر[1]

إن إحسـاس الشـاعر بالمفارقـة الحـادة بـين الـزمن الماضـوي الجميـل بإنسـانه ومكـان البصـرة والسـبب في ذلـك هـو الإنسـان السـلبي/خالـد بـن يزيـد بافتعالـه لمثـل هـذا السـلوك مـع الشـاعر مركزيـة في اسـتحداث التحولات الزمنية والمكانية في عالم الشاعر.

فالممارسـات والأفعـال الـتي ارتكبهـا خالـد بـن يزيـد تنتمـي في حقيقتهـا إلى عـالم الشـر، وبالتـالي فـإن هـذه الممارسة السلطوية تستحق خطابا يفضح نسقتها ويكشف عن المحرك المركزي للشر :

دنيء به كل خير بـــــــلادة لكل قبيح عن ذراعيه قد حســـــــر
له منظر يعمي العيون سماحة وإن يختبر يوما فيا سوء مـــــــختبر[2]

فهـذه الصـفات الـتي يصـنفها أبـو عينيـة علـى المهجـو علامـة علـى التحـول القيمـي/السـلطو في عـالم الآخـر ، إذ انهيـار القيمـة الخلقيـة يسـهم حتمـا في انهيـار سـلطة الآخـرة ومـن ثم حـدوث الإنقـلاب المفـاجئ مـن

[1] _ المرجع نفسه،ص1278

[2] _ المرجع نفسه، ص1280.

مرحلة القوة /القيادة/ ، العلو إلى مرحلة الانحطاط والدنو والابتعاد عن المناصب الحميدة دنئ عن كل خير بلادة....

ومن الصور الدالة الموحية بسوداوية النسق المضاد في الواقع الإنساني وفق لرؤية الشاعر ، وهذه الصورة القائمة التي يرسمها الشاعر لنفسه المندي :

له منتظر يحمي العيون سماحة وإن يختبر يوما في سوء مغتبر .

وقد استعمل أبو عينية في صراعه مع خالد بن يزيد بوصفه تسقا مضادا ،تقنية... من حيث هي عينة نصبه ، يحاتلو من خلالها هجاء الآخر وكشف عيوبه ، يقول أبوعينية في قصيدة يمدح بها الخليق الهادي

أيها الكاتم الحديث وقد طـا ل الأمر وأنت هو الكتمـان
قل لعمري عرضت حينا قين ليس بعد التعريض إلا البـيان
واتخذ خالد عدوا مبيـنا وما تفادى الإنسان والشيطـان

والله عنه فما يصرك منـه عض كلب ليست له أسنـان
ولعمري لولا أبوه لنالـت به بسوء مني يدو ولسـان
قل لفتيانك المقيمين جانبـا ب تقو لنجاح يافتيـان
لا تخافوا الزمان قد قام موسى فلكم من ردي الزمـان أمان
أولا تأته الخلافة طوعـا طاعة ليس بعدها عصـيان
فهي متقادة لموسى وفيهـا عن سوء التـقاعس وحدات[1]

يجرد الشاعر من نفسه ذات أخرى يحاورها ويناجيها بحيث يكسب هذا الحوار دلالة رمزية توحي بحلم الشاعر في تأسيس ذات جديدة تغاير في موقف وصراعها في النسق الهندي صورة ذات الكاتمة ، غيضها أنها ذات إنسانية واعية تهرب من واقع الألم وتتبرأ من ثقافة الصمت وترفضها ، لأن الصمت على استبداد الآخر يندرج في إطار فكرة استسلام الذات وانهزامها أمام سلطة النسق المضاد.

ويأتي النداء ، أيها الكاتم الحديث إشارة تنبهه وتحذر من خطر التواطئ مع خصمه ثم توقض في داخله حس الرفض والمقاومة واملاءات الخصم وسياساته .

[1] المرجع السابق ، ص 1281 ، 1282 .

فإذا كانت الذات الأولى ترسخ ثقافة الصمت ، فإن الذات الجديدة / الظل تكرر في حركيتها ثقافة الصوت ليس بعد التعريض إلا البيان ، هنا يبدوا الصراع واضحا نسقين مضادين ، حيث يظهر النسق الأول الشاعر بنزعة الإنسانية ممثلة لجانب الخير ، في حيث يتجلى النسق الثاني خالد بن يزيد من حيث يمثل نسق الشر ، ولهذا فقد بدى الصراعين النسقين الندين صراعا دائما غير متقطع ، واتخذ خالد عدوا مبينا ..... عض كلب ليست له أسنان ، وأما مقطع المديح في هذا النص ،فإن أبي عينية يظهر فيه ذكاء فائقا ، تمكن بفعاله من استحداث نسق سلطوي جديد ، يتضاد مع حضوره مع النسق القمعي المضاد .

وتبدو سعادة الشاعر بالنسق السلطوي الجديد واضحة ،كأنه يشكل البشارة للنص في الخلاصة من أحداث الزمن وتقلباته :

قل لفتيانك المقيمين بالبـــــــــــاب فلكم من رديء الزمان أمـــان .

ولا يخفى على الناقد الثقافي في هذا المقطع تحديدا عمل المقارنة بين النسقين السلطويين : الخليفة ابن موسى الهادي / خالد بن يزيد ، يتسم بالتضاد ، إذ تبدوا علاقة النسق الأول بالرعية الجماهيري ، علاقة ودية متبادلة ، يصنع فيها النسق السلطوي الخير والعطاء والأمن للرعية مما يكسبه احترام الجماهير ، وتأييدها وإقرارها بشرعية سلطته ، أولم تأته الخلافة طوعا، عن سوله تقاعس وحران .

وفي إطار هذا المعنى يحاول الشاعر أبو عيبة أن يقدم صورة مثالية للعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، في ظل فكرة الخلافة (السلطة لأن تسامح السلطة وحرصها على مصلحة الرعية تعلن على انتمائها وطاعتها لهذه السلطة .

فالشاعر يحقر ممدوحه بفعل اختلاف جماليات المدح لكي يخلص الناس من شرور المهجو/ خالد ابن يزيد إذ الشاعر يؤمن في قرارات نفسه بحاجته الملحة ، وكذلك إلى حاجة الجماهير إلى سلطة شعرية شوق افعال المدوح ، وتقود الرعية في صراعها مع الآخر خالد بن يزيد / المستبد ، الذي جعل الناس يعيشون حياة تتصف بالدونية والهوان ، حيث تمكن الشاعر بالتعبير عنها ، بلغة شعرية ودالة في بداية النص :

كيف صبري ومنزلي جرحـــــــات والعراق البلاد والأوطـــــــان
يـــازمان الماضي بغداد عدلـــي طالما قد سررتني يـــــــازمان
يـا زمان المسيء أحسن فقد مـــا كان عندهن فعلك الإحسان[1]

ويمضـي الشـاعر في توضـيف الغـزل بالمحبوبـة بوصـفه فعاليـة سـبقية ، وعتبـة نصـية يـدخل الشـاعر مـن خلالهـا إلى عـالم النسـق المضـاد بغيـة معرفـة كنـة المهجـو ،ومـن ثم صـد مضـمراته النسقية ونقلها إلى الجماهير بفعل ثقافة الهجاء .

والقصيدة التي يعانيها الناقد هنا تتكون من ثلاث مقاطع نصية هي :

1. : مقطع التغزل بالمحبوبة ن ومفتاحه

قل للدنيا يالله لا تهجريـــــــنا واذكرينا في بعض ما تذكرينا .

2. : مقطع مدح الأصدقاء ومفتاحه :

3. مقطع هجاء النسق المضاد / خالد بن يزيد ومفتاحه :

وتبدلت خالد ألعـــــــــنه اللـ ـه عليـــــــه ولعنة اللّاعنيـنا

يتضـافر المقطعـان الأوليـان في هـذا الـنص مقطـع المحبوبـة ، ومقطـع الصـحب، ليجسـد حلـم الشـاعر بالانـدماج في علاقـة إنسـانية بعيـدة عـن معـاني الزيـف والتمويـه ، والخـداع فهـو في مقطـع المحبوبـة يحـرص علـى عمليـة التواصـل مـع الآنثـى والبقـاء في محـراب عشـقها (لاتهجرينـا) لأن هجـرة المحبوبـة أو خيانتهـا تغـني في ثقافتنا تبدلا في نمط القيم وتحولا نحو خلق ثقافة القطيعة الإنسانية .

فالشـاعر يحـاور الآتي لأنـه تـواق إلى تشـكيل عـالم مشـحون بالعاطفـة والحـب الـتي تنبـوأ في المخيـال الإنسـاني لأنهـا أسـطورية ، ونموذجـا أعلـى يصـور رغبـة الإنسـان بالتجـدد والاتصـال بـالآخر الأنثـوي ، الـذي يغـدوا جـزءا مـن الـذات قصـد إظهـار حالـة التجـاور بـين الرجـل والمـرأة المعشـوقة لكـي يـتمكن مـن صـنع عـالم اللذة والجمال[2] .

[1] المرجع السابق ، ص 1284.
[2] المرجع السابق ، ص 1287.

واذكريني إذ كان ماينقص الـــــــــــر يح علينا الخير والياسمينا [1]

ومن اللافت للنظر كذلك في مقطع الصحبة ، أن الرابطة التي تجمع بين الشاعر والجماعة هي علاقة بين مشهدين يثيران انفعالاته، إذ يتجلى المشهد الأول في مقطع الصحب صورة الألفة التي تنعدم فيها العيوب الثقافية بين الشاعر والصحب ، بحيث يضحي هذا التوحد صانعا لعالم المثل في رؤية المجتمع الإنساني.

لقد وظف أبو عينية المرأة (رمز الولادة والخصب)، والجماعة (رمز التوحد والحماية) بوصفها انساق ثقافية ينقذ فيها الذات من الإحباطات الممكنة في ضل صراعه مع القريب العدو خالد بن يزيد ، كما يستلهم من المعاني المتضمنة فحديث التنسيق (المرأة والجماعة) .

مفهوم المركزية الدائمة التي تضمنت بفعلها مركزية الشر والمزعجة :

أزعجتني الأقدار عنهم وقـــــــد كنـ ـت يغربني منهم شحيحا ضنينـــــا .

وأما المقطع الهجائر فإنه يصف واقع الحال الذي آل إليه الشاعر بعد انخراطه بجيب خالد ابن يزيد ن فكان هذا المال السيئ سببا في استثاره حفيظة الشاعر وانفعاله :

وتبدلت خالد لعنة اللـــــــ ـه عليه ولعنة اللاعنينا[2]

إن النسق المضاد كما يبدوا في مقطع الهجاء ، كان مسؤولا عن توليد المتحول في حياة الشاعر ، لأنه بات يواجه مفارقة حادة بين زمن ما ضوي جميل وزمن آني مؤكد ، فإنه شرع في هجاء عيوب نسق السلطوي من اجل خلق كئيب ومؤلم في عالم التنمق .

في نهاية هذه الدراسة من الجهة الفنية ظهرت لفتة مرآة صادقة للغة العصر الذي عاش فيها وله القدرة على نقلك إلى الجزء الذي يريده دون أن يكلفك عناء الرجوع غلى المعجمات أو التفكير ، أما الصورة ففي هذا النوع كانت ملائمة مع تعينية الشاعر ، فقد نوع في بحور الشعر الذي صاغ عليها ، كما أننا نستخلص من هذه الدراسة إلى أن تصور الجمل الثقافية التي يستند إليها مشروع الفحل وهي :

1-: الأنا.

2-مركزية الذات .

3-إلغاء الآخر والتعالي عليه .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 1287 .

[2] المرجع نفسه ، ص 1287 .

وعبر الجمل الثقافية يجري منح ، الفعل النسقي التميز الطبقي ، وإن بحث هذه الصفات منحا خاصة يمنحها الفعل الشعري لنفسه ن فهذه ليست سوى ظاهرة ، فالثقافة هي المانحة وهي المؤسسة لذلك كله .

المبحث الثاني: النقد الأدبي والنقد الثقافي

أ. مفهوم النقد الثقافي :

من المعلوم أن مصطلح الثقافة عام وعائم وفضفاض في دلالاته اللغوية والاصطلاحية ويختلف من حقل معرفي إلى آخر ، وهو من المفاهيم الغامضة في الثقافتين الغربية والعربية على حد السواء .

فالثقافة بطابعها المعنوي والروحاني تختلف مدلولاتها من البنيوية إلى الإنتروبولوجيا وما بعد البنيوية ، وتندرج الثقافة مجاليا ضمن الحضارة التي تنقسم إلى قسمين : الشق المادي والتقني ويسمى التكنولوجيا ، والشق المعنوي والأخلاقي والإبداعي يسمى بالثقافة[1].

من ثم، يمكن الحديث عن نوعين من الدراسات التي تنتمي إلى النقد الحضاري، الدراسات الثقافية التي تهتم بكل ما يتعلق بالنشاط الثقافي الإنساني، وهو الأقدم ظهورا، والنقد الثقافي الذي يحلل النصوص والخطابات الأدبية والفنية والجمالية في ضوء معايير ثقافية وسياسية واجتماعية وأخلاقية، بعيدا عن المعايير الجمالية والفنية

وهو الأحدث ظهورا بالمقارنة مع النوع الأول .

ومن ثم، فالنقد الثقافي نقد إيديولوجي وفكري وعقائدي[2] هذا، ويرى مجموعة من النقاد الثقافيين " ليتش"، "وعبد الله محمد الغذامي"، وغيرهما... بأنه آن الآوان للاهتمام بالنقد الثقافي باعتباره بديلا للنقد الأدبي، بعد أن وصل هذا النقد – حسب عبد الله محمد الغذامي- إلى سن اليأس، ووصلت البلاغة العربية بعلومها الثلاثة(البيان، والمعاني، والبديع) إلى مرحلة العجز والموت، وعليه، فالنقد الثقافي هو الذي يدرس الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة. وبتعبير آخر، هو ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن.

---

[1] عبد الله الغذامي ، قرآئة في الأنساق الثقافية العربية ن المركز الثقافي العربي للنشر ، المملكة المغربية ، الدار البيضاء ، ط2 ،2001 م ، ص 14 .

[2] عبد الرحمان عبد الحميد علي ، النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، د ، ط ن 2005 ،م ، ص 2007 .

ومن ثم، لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية، بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية التاريخية .... إلى آخره .

ومن هنا، يتعامل النقد الثقافي مع الأدب الجمالي ليس باعتباره نصا، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضمر أكثر مما تعلن.

وينتمي هذا النقد الثقافي إلى ما يسمى بنظرية الأدب على سبيل التدقيق. في حين، تنتمي الدراسات الثقافية إلى الأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع والفلسفة والإعلام وغيرها من الحقول المعرفية الأخرى[1] .

ب. مفهوم النقد الأدبي :

مصطلح النقد الحديث جديد على الساحة العربية لم تعرفه لغتنا إلا في العصر الحديث بعد الإتصال بالغرب ، هو ترجمة حريفية للمصطلح الغرب (littéraire criticisme) الذي يعني مجموعة الأساليب المتبعة لفحص الآثار الأدبية والمؤلفين القدامى ، والمحدثين ، بقصد كشف الغامض ، وتفسير النص الأدبي ، الإدلاء بحكم عليه في ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها ناقد من النقاد .

ومنذ القرن السادس عشر في إنجلترا وإيطاليا والسابع عشر في فرنسا وألمانيا، أصبحت وضيفة الأديب مستقلة معترفا بها ، ويعد النقد الأدبي اساسها النظري لذلك دخلت فكرة النظرية الأدبية بما لها من قواعد وفلسفة فنون وعلم جمال ، في حيز مفهوم النقد الأدبي ، وما يزال الجدل قائما حول ماهية النقد الأدبي[2] ، ويبدوا أن المدة الزمنية التي بدأنا نعرف فيها المصطلح الجديد تعود إلى مطلع القرن العشرين ، ولا شك أن هناك فروقا جوهرية بين المصطلح القيم والمصطلح الحديث ، تعود إلى طبيعة كل منهما ، فالنقد الحديث أوسع دائرة وأكثر شمولا لعناصر الأدب ، وأكثر ارتكازا على الثقافات المتعددة والمعارف المتنوعة ، وبرزت للنقد في العصر الحديث مفاهيم جديدة ومتنوعة ، انطلق أصحابها من مواقف محددة لدور الأدب في الحياة ، وأصبح للنقد مدارس واتجاهات . وتأثر النقاد بالنقد الأوربي الحديث الذي رأى أن النقد في تقويم الأعمال الفنية والأدبية وتحليلها تحليلا قائما على أساس علمي .

[1] المرجع نفسه ، ص 229.

[2] محمد كريم الكواز ، البلاغة والنقد ن المصطلح والنشأة والتجديد ، الانتشار العربي ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 2006 ، ص ص 57 . 58 .

ولعل التوافق العجيب بين اللفظ العربي(النقد المنقول الدلالة من تميز الدراهم إلى تميز الأساليب واللفظ الإنجليزي criticisme المشتق من الفعل اليوناني القديم بمعنى (يميز أو يحدد) ، جعل من اليسير نقل المفاهيم الأوربية للنقد إلى الفكر العربي المعاصر ، فضلا عن أن كثيرا من الأنماط الأدبية الحديثة اقتفت آثار الآداب الأوربية .

فقد استطاع النقد الأدبي الحديث أن يكشف آفاقا جديدة ، تتصل بتجارب الشعراء وأعمالهم الأدبية ،كما استطاع أن يبصرنا بالكثير من القيم الفنية الأصيلة في الأدب العربي التي أغلقها النقد القديم[1] .

ج. الفرق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي[2] :

لن يختلف اليوم اثنان في أن النقد العربي الحديث باتجاهاته ومدارسه المختلفة مازال يعيش على منجزات النقد الغربي، ويواجه نتيجة لذلك إشكالية أساسية تكمن في البحث عن هوية وتحديد مسار خاص به ومناسب لطبيعة النص العربي والثقافة العربية بشكل عام. ومن اللافت أن النقاد العرب الذين تأهلوا في الغرب ودرسوا مناهج النقد الحديثة في الجامعات الغربية هم – في كثير من الأحيان – الذين تنبهوا إلى غناء تراثنا النقدي القديم ودعوا إلى العودة إلى هذا التراث واستلهام منجزاته وتطويرها[3].

عبد العزيز حمودة :

الذي يؤكد أن النقد العربي المعاصر يعيش حالة من الاغتراب والانقطاع عن جذوره الثقافية ويعاني من تبعية خانقة للنقد الغربي. وهذا ما دفعه إلى الدعوة إلى الاستفادة من كتب التراث النقدي العربي للخروج من التيه والتأسيس لنظرية نقدية عربية "أصيلة". وفي الوقت نفسه لا نزال نشهد باستمرار ظهور اتجاهات وممارسات نقدية "عربية" جديدة هي في الغالب صدى متأخر للمدارس النقدية الغربية. فالدكتور عبد العزيز حمودة يؤكد في خاتمة الجزء الأخير من ثلاثيته حول النقد العربي (الخروج من التيه، سلسلة عالم المعرفة، ص351) أن "هناك مشروعا نقديا جديدا يجري الترويج له اليوم في أروقة المثقفين العرب هو النقد الثقافي الذي يمثل افتتانا جديدا بمشروع نقدي غربي[4].

---

[1] المرجع نفسه ، ص 59 .

[2] سهيل الحبيب ، خطاب النقد الثقافي في الفكر العربي المعاصر ، ص 53 .

[3] حوار وحيد تاجا ، جريدة الوطن ، عمان العدد 6941 – 16 . يوليو 2002 م .

[4] عبد العزيز حمودة ، الخروج من التيه ، دراسة في سلطة النص ، سلسلة عام المعرفة ، عام 298 ، الكويت د ، ط 2003 م .ص 80 .

سعيد البازغي وميجان الرويلي :

إن النقد الثقافي، في دلالته العامة، يمكن أن يكون مرادفا "للنقد الحضاري" كما مارسه د. طه حسين والعقاد وأدونيس ومحمد عابد الجابري وعبد الله العروي. لهذا فهما يعرفان النقد الثقافي على أنه "نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها". وإذا ما تجاوزنا تقديم سعيد البازعي و ميجان الرويلي للنقد الثقافي فإننا نجد أن الناقد العربي السعودي عبد الله محمد الغذّامي هو أول من حاول تبنّي مفهوم النقد الثقافي في معناه الحديث الذي حدده فنسنت ليتش واستخدم أدواته لاستكشاف عدد من الظواهر الثقافية العربية التي لم تستطع مختلف مدارس النقد الأدبي السابقة التصدي لها[1].

الدكتور عبد الله الغذامي:

الدكتور عبد الله الغذامي واحد من أهم النقاد العرب المعاصرين الذين يملكون مشروعا نقديا ثقافيا حداثيا متكاملا. ويعمل حاليا أستاذ النظرية والنقد في جامعة الملك سعود في الرياض. وقد نشر عددا لا بأس به من الكتب مثل: (الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية)1985، و(تشريح النص) 1987، و(الموقف من الحداثة)1987، و(الكتابة ضد الكتابة)1991، و(ثقافة الأسئلة : مقالات في النقد والنظرية) 1992، و(القصيدة والنص المضاد)1994، و(المشاكلة والاختلاف) 1994، و(المرأة واللغة)1997، و(ثقافة الوهم : مقاربات من المرأة واللغة والجسد) 1998، و(تأنيث القصيدة والقارئ المختلف) 1999، و(حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية) 2003، و(النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية) 2000. في هذا الكتاب الأخير يعرف د. عبد الله الغذامي النقد الثقافي على النحو الآتي: " النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معنيّ بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء. ومن حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجامعي[2]

[1] سعد البازغي وميجان رويني ، دليل النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 2000 ، 2م ، ص 225.

د. **الفرق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي عند ليتش و الغذامي :**

وبما أننا لا نسعى في هذه السطور إلى استعراض مختلف القضايا المتعلقة بمفهوم النقد الثقافي، كأصله ومناهجه ومجالاته وآلياته التي فصلها الغذامي في كتابه (النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، بل إلى معرفة العلاقة أو الفرق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي، فإننا سنحاول – هنا – أن نبحث في كتابات كل من فنسنت ليتش وعبد الله الغذامي عن إجابات للأسئلة الآتية: هل في النقد الأدبي ما يعيبه أو ينقصه كي نبحث له عن بديل؟ هل يستطيع النقد الثقافي أن يكون بديلاً عن النقد الأدبي؟

بالنسبة لفنسنت ليتش فهو يؤكد،عند تناوله لطبيعة الروابط بين النقد الثقافي والنقد الأدبي أنّ هذين النقدين مختلفان على الرغم من وجود بعض نقاط الالتقاء والاهتمامات المشتركة بينهما. وبعكس بعض المهتمين الآخرين بالنقد الثقافي الذين يرون أن على النقد الثقافي أن يركز على تلك الظواهر التي يهملها النقد الأدبي مثل مظاهر الثقافة الشعبية أو الجماهيرية، ويبتعد عن الميادين الأدبية "المتعالية" كنظرية الأدب، يرفض فنسنت ليتش الفصل بين النقد الأدبي والنقد الثقافي، ويرى أن اختصاصيي الأدب يمكن أن يمارسوا النقد الثقافي دون أن يتخلوا عن اهتماماتهم[1].

أما الدكتور عبد الله الغذامي فيقول في محاضرة ألقاها في مطلع سنة 2002 في مؤسسة عبدالحميد شومان: "نحن لا نملك إلا أن ننسب النقد الأدبي إلى الأدب، وبالمقابل فإننا سننسب النقد الثقافي إلى الثقافة". كما يلاحظ الغذامي أن النقد الأدبي الذي في الثقافة العربية قد ترعرع في أحضان البلاغة أصبح فنا في البلاغة يعنى في المقام الأول بجمالية النصوص والوقوف على مكونات أدبيتها، أو كشف عوائقها[2].

كما يتهم د. عبد الله الغذامي النقد الأدبي أنه، قديماً وحديثاً، لم يتعامل إلا مع النصوص التي تعترف المؤسسة الثقافية الرسمية بأدبيتها وجمالها واستبعد النصوص والظواهر الثقافية الأخرى التي لا تحظى باستحسان تلك المؤسسة التي وضعت معايير صارمة لتقنين ما هو جمالي وما هو غير جمالي. وقد أدى ذلك إلى إهمال ما هو مستحسن جماهيريا مثل كتاب ألف ليلة وليلة.

---

[1] لينش فينست ، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات ،ترجمة محمد يحي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط2000 ، 1م .

[2] عبد الرحمان ابن اسماعيل السماعيل ، الغذامي الناقد ، قرآءات في مشروع الغذامي النقدي ، ص 35 .

ويرى الغذامي أن تركيز النقد الأدبي على النصوص الأدبية "الرسمية" قد جعل منه قلعة أكاديمية معزولة وغير فاعلة بين عامة الناس. لهذا يرى الغذامي أن النقد الأدبي الذي لم يلتفت إلا إلى الجماليات قد فشل في الكشف عن القبح الذي يستتر تحت الغطاء البلاغي. ومهمة النقد الثقافي الذي يسعى إلى رفع ستار البلاغة عن العمل الأدبي هي تبصيرنا بخطر "العيوب النسقية المختبئة تحت عباءة الجمالي "

وحين سُئل عما إذا كان النقد الثقافي سيصبح بديلا عن النقد الأدبي أجاب الغذامي: "إنني أحس أننا بحاجة إلى النقد الثقافي أكثر من النقد الأدبي، ولكن انطلاقاً من النقد الأدبي لأن فعالية النقد الأدبي جربت وصار لها حضور في مشهدنا الثقافي والأدبي ما من شيء جرب واختبر ثقافياً مثل النقد الأدبي، ولهذا أدعو إلى العمل على فعالية النقد الثقافي انطلاقاً من النقد الأدبي وعبر أدواته[1].

ولا شك بأنه بات للنقد الأدبي في بلادنا العربية من الحضور والسمعة ما يؤكد على أهميته في حياتنا الثقافية والأدبية، وأن المشكلات أو الملاحظات التي تسجل على النقد الأدبي لا تتوجه نحو الأدوات أو الضرورات، وإنما تتوجه إلى الغايات والمقاصد وطرائق العمل في مجالات النقد والتي تؤدي أحياناً أو أغلب الأحيان إلى ما نسميه بالتحيز والمحاباة أو الاقتصار على أمر من الأمور كالجانب النظري وحسب.

وعلى الرغم من ذلك فما زال كثير من الباحثين، مثل عبد العزيز حمودة، يرون في النقد الثقافي (مجرد) افتتان فئة من الأساتذة العرب بمنهج نقدي غربي لم يثبت فعاليته حتى داخل الثقافات الغربية التي أفرزته. ومنهم من لا يرى في النقد الثقافي إلا إحدى مظاهر العولمة[2].

[1] عبد الله الغذامي ،ورقة بحثية مقدمة لندوة المهرجان القرين حول مقولات النقد الثقافي .

[2] ى محمد كريم الكواز ، البلاغة والنقد ، ص 27 .

خاتمة

الخـــاتمة :

نهاية البحث لا تعن أنه قد طويت صفحاته نهائيا لأن مجاله مفتوح دائما على الراغبين دخول هذا العالم الفسيح ، عالم النقد الثقافي ، فبعد أن مررت بتجربة مهمة في هذه الدراسة توصلت إلى جملة من النتائج أهمها :

- ✓ النقد الثقافي لا يلغي النقد الأدبي ، بل العكس فقد يعتبر شكل من أشكال النقد الثقافي
- ✓ دعوة الغذامي إلى موت النقد الأدبي تعني قطيعة وقتل لأدبية النصوص ، فنحن لا نستطيع قرآءة النصوص دون الوقوف على جمالياته ، وهو بهذا قد يؤسس لمنظومة أو نظرية جديدة ، كما هو السباق لها ، ومغاير لما سبق من قبله
- ✓ أن الناقد عبد الله الغذامي من أهم رواد النقد الثقافي ، فهو حاول جاهدا الكشف عن الإنسان المظمرة داخل النصوص الأدبية ، وذلك لخوفه على الشعر العربي ، بإعتباره ديوان العرب من تأثره بتلك العيوب النسقية .
- ✓ يعترف الغذامي بأنه ليس من الحكمة أن تخضع المنظومة المصطلحية النقدية لأي تغيير يقوم به باحث ، مجتهد إلا أنه قد أضاف عنصرا سابعا ، هو العنصر النسقي لعناصر الاتصال الغوي عند جاكسون ، حيث أثار جدلا واسعا بين النقاد.
- ✓ يكشف الغذامي في كتابه النقد الثقافي ، عند الأنساق المتشعرنة وأن هناك عيوب شعرية كنا في غفلة عنها ولا زلنا .

ملحق

عبد الله بن محمد بن عبد الله الغذامي من مواليد عام 1946 في عنيزة .أكاديمي وناقد أدبي وثقافيسعودي، وأستاذ النقد والنظرية في كلية الآداب، قسم اللغة العربية، بجامعة الملك سعود بالرياض،كنيته أبو غادة، ويُفضّل مناداته بها على لقب" دكتور."

✍ النشأة والتعلّم

ولد في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم عام 1365هـ/ 1946م. حصل على الشهادة الثانوية من المعهد العلمي بعنيزة عام 1385هـ/ 1965م، وحصل على الشهادة الجامعية في اللغة العربية من كليةاللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض عام 1389هـ/1969م، ونال الدكتوراه من جامعة إكسترا عام 1987م

✍ أبرز أعماله

تميزت أعمال الغذامي بالتنوع، فهو صاحب مشروع في النقد الثقافي وآخر حول المرأة واللغة، وكان أولى كتبه دراسة عن خصائص شعر حمزة شحاتة الألسنية، تحت اسم (الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية). كان عضوا ثابتا في المماحكات الأدبية التي شهدتها الساحة السعودية، ونادي جدة الأدبي تحديدا في فترة الثمانينات بين الحداثيين والتقليديين. لديه كتاب أثار جدلاً يؤرخ للحداثة الثقافية في السعودية تحت اسم (حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية). يعد من الأصوات الأخلاقية في المشهد السعودي الثقافي، ويترواح خصومه من تقليديين كعوض القرني إلى حداثيين كسعد البازعي وأدونيس. يكتب مقالا نقديا في صحيفة الرياض منذ الثمانيات، وعمل نائبا للرئيس في النادي الأدبي والثقافي بجدة، حيث أسهم في صياغة المشروع الثقافي للنادي في المحاضرات والندوات والمؤتمرات ونشر الكتب والدوريات المتخصصة والترجمة، وقد كتب محمد لافي اللويش عن جهود عبد الله الغذامي في النقد الثقافي بين التنظير والتطبيق في رسالة ماجستير عام 2008. في تاريخ 26-9-2011 بدأ عبد الله الغذامي في كتابة مقال أسبوعي في صحيفة سبق الإلكترونية

✍ عضوياته

نظرًا للثقافة والخبرة الواسعة التي يتمتع بها الغذامي وخاصة في الحراك النقدي، فقد حرصت الكثير من الهيئات على الاستفادة من خبرت، ولذا كان لديه عدد من العضويات في كل من :

عضو هيئة تحرير مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بين عامي 1401-1403هـ/1981-1983م.

عضو هيئة التحرير لمجلة علامات الصادرة عن نادي جدة الأدبي بين عامي 1411-1418هـ.

عضو هيئة تحريرمجلة كتابات معاصرة ببيروت منذ عام 1996م.

عضو الهيئة الاستشارية لمجلة العلوم الإنسانية بكلية الآداب والتربية في جامعة البحرين منذ عام 1998م.

عضو الهيئة الاستشارية لمشروع (كتاب في صحيفة) الصادر عن اليونسكو منذ عام 1997م.

عضو الهيئة الاستشارية لجائزة الشيخ زايد للكتاب بأبو ظبي منذ تأسيسها عام 2006م وحتى اعتذاره عن العضوية عام 2010م

✍ **الجوائز التي حصل عليها**

حصل على جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج في العلوم الإنسانية.

حصل على جائزة مؤسسة العويس الثقافية في الدراسات النقدية، عام 1999م.

تكريم (مؤسسة الفكر العربي) للإبداع النقدي، أكتوبر 2002 . القاهرة.

✍ **الدراسات التي قدمت عن الغذامي**

قراءة في مشروع الغذامي النقدي لمجموعة من الباحثين، كتاب الرياض، 2002م

قرءة في الممارسة النقدية والثقافية عند الغذامي لمجموعة من الباحثين، وزارة الثقافة والاعلام بالبحرين، دار الفارس

جدل الجمالي والفكري . قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي لمحمد بن لافي اللويش، النادي الأدبي بحائل ودار الانتشار العربي ببيروت، 2010م

التيارات النقدية الجديدة عند عبد الله الغذامي، رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة-،الجزائر، وردة ملاح،2011م-2012م

كتاب (الغذامي بين مجايليه وتلاميذه) صدر عن نادي جدة الأدبي عام 2020م.

المؤلفات

الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، جدة 1985، (الرياض 1989، طبعة ثانية) و(دار سعاد الصباح، الكويت / القاهرة، 1993 طبعة ثالثة) و(الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997، طبعة رابعة).

تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، دار الطليعة، بيروت 1987.

الصوت القديم الجديد، بحث في الجذور العربية لموسيقى الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1987، و(دار الأرض، الرياض 1991، طبعة ثانية) و(مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض، الرياض 1999، طبعة ثالثة)

الموقف من الحداثة، دار البلاد، جدة 1987 (الرياض 1992، طبعة ثانية).

قائمةالمصادر والمراجع

قـــائمة المصادر والمراجع :

❖ :أولا – المصادر

✍ ابن منظور ، لسان العرب ، ج 03، تح عامر احمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت ط 01 2003 م

✍ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الانساق العربية ، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط 01 ، 2001 .

❖ ثانيا– المراجع

✍ بسام قطوس، المدخل الى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط 01 2006 م

✍ تيري ايجيلتون ، فكرة الثقافة ، تر شوقي جلال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط ، 1999م

✍ حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في اصول و عمول قيامها وتطورها ، عالم المعرفة الكويت ، ط 02 ، 1998.

✍ رامان سلدن، النظرية الادبية المعاصرة ، تر جابر عصفور ، دار قباء للطباعة للنشر والتوزيع ، د ط ، 1998 م

✍ سعد البازعي ، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، دار البيضاء، ط 01 ،2008م

✍ د البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الادبي ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط 2000 م

✍ عبد الرحمن عبد الحميد علي، النقد الادبي بين الحداثة والتقليد ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، د ط 2005 م

✍ عبد العزيز حمودة ، الخروج التيه ، دراسة في سلطة النص ، علم المعرفة ، الكويت ، د ط ، 2003 .

قـــائمة المصادر والمراجع :

- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الانساق العربية ، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط 01 ، 2001 .
- عبد الله الغدامي، تأنيف القصيدة والقارئ المختلف ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط 1999
- عبد الله حبيب التميمي ، سيرورة النقد الثقافي عند الغرب، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية ، المجلد 22، 2014 م
- نست ليتش، النقد الادبي الامريكي ، من الثلاثينيات الى الثمانينات، تر محمد يحيى، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، د ط 2000 م
- وحدي تاجا ، حوار في جريدة الوطن ، عمان ، العدد 6941-16 يوليو 2002 م
- مجموعة من الكتاب ، نظرية الثقافة، تر علي سيد الصاوي، علم معرفة الكويت ، د ط ، 1997 م

المذكرات:

مذكرة النقد الثقافي في النظرية الادبية ، عبد الله الغدامي نموذجا

المؤتمرات:

مؤتمر النقد الدولي الحادية عشر ، تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر

المنتديات:

محمد سالم سعد الله، النقد الثقافي "ازمة منهج ام محنة عمل .؟".

الفہرست

فهرست المحتويات

بسملة

الاهدا والتشكر

مقدمة .....أ

المدخل:عن النقد الثقافي عموما **04**

الفصل الأول :عن كتاب "النقد الثقافي" عند د. عبدالله الغذامي

المبحث الأول : نشأة النقد الثقافي. **10**

المبحث الثاني :تلخيص محتويات كتاب "النقد الثقافي" **15**

المبحث الثالث :المصطلح النقدي في كتاب **31**

الفصل الثاني: الرؤية النقدية في الكتاب

المبحث الأول :ماهية النقد الثقافي بمنظور الغذامي **37**

المبحث الثاني:النقد الثقافي والنقد الأدبي **49**

خاتمة **56**

ملحق **60**

قائمة المصادر والمراجع **63**

الفهرست